مقارنات الأديان
الديانات القديمة
الإمام محمد أبو زهرة
دار الفكر العربي

الإمام محمد أبو زهرة

الديانات القديمة

مقارنات الأديان

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
١١ شارع جواد حسنى - القاهرة
ص.ب ١٣٠ ت ٧٦٠٥٢٣ - ٧٥٠١٦٧

الافتتاحيـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعــين •

اما بعد ، فقد نشأت مسلما فى قوم مسلمين ، وآمنت مذ نشأت بالله الواحد الأحد الفرد الصمد ، ولكنى كنت مشغوفا منذ نعومة أظافرى أن أعرف العقائد التى تسود الفكر الانسانى ، فى شرق الأرض وغربها لأعرف مكان العقيــدة الاسلاميه بينها مع ايمــانى بأن القرآن هو الحق الذى لا ريب فيه ، وما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو الصلاح الذى لا يرنقه فساد •

ولقد درست ما وسعنى الوقت ، والتمكن من الاطلاع ، فقرأت ما جاء فى الديانات القديمة ، وما عليه الديانات السماوية بعد أن حالت وتغيرت ، لأعرف ما فيها من قضايا ، وما يتفق مع حكم العقل ، وتستسيغه الأفكار ، وما لا يقبله العقل ، بل يلفظه ، كما يلفظ اللسان مسيخ الطعام ، وما تمجه الأذواق •

ولقد انتهيت كما ابتدأت مؤمنا بالقرآن وعقيدته ، والنبى وشريعته ، لأن العقيدة الاسلامية فيها تنزيه العقول من الأوهام ، وتطهيرها من الأرجاس ، والشريعة الاسلامية فيها صلاح الانسانية •

ولقــد ألقيت هذا الذى وجدته فى الديانات القديمة دروسا فى كلية أصول الدين ، ورأى معهد الدراسات الاسلامية أن ألقيه دروسا فيه ، وهذه خلاصة الدروس التى ألقيتها على طلبة ذلك المعهــد المبارك إن شاء الله تعالى •

وقد قسمت الدراسة الى قسمين ، قسم الديانات القديمة الباقى بعضها الى اليوم ، وقد درست فيه المصرية القديمة ، والبرهمية ، والبوذية ، والكونفشيوسية ، وفى القسم الثانى النصرانية بوصفها الحاضر ، وقولها ، ومجامعها وفرقها •

والله سبحانه وتعالى هو الموفق ، والهادى الى سواء السبيل ولولا توفيقه ما أنجزنا عملا •

محمد أبو زهـرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الديانة المصـــرية القـــديمة

١ ــ أول ما يلاحظه الدارس لديانات العالم القديم أن أشد الأمم تدينا المصريون القدماء ، حتى لقد قال شيخ المؤرخين هيرودوت : « إن المصريين أشد البشر تدينا ، ولا يعرف شعب بلغ فى التدين درجتهم فيه ، فان صورهم بجملتها ، تمثل أناسا يصلون أمام إله ، وكتبهم فى الجملة أسفار عبادة ونسك » •

وذلك كلام حق ــ فتلك الآثار الباقية التى تحكى لنا حياة المصريين جلها ــ قام على أساس من التدين والاعتقاد ، ولولا انبعاث هذا الاعتقاد فى النفس ما قامت تلك الأهرام ، ولا نصبت تلك الأحجار ، ولا شيدت هاتيك التماثيل التى لا تزال تسترعى الأنظار بجمالها وزخرفها وروعتها ، وقوة بنيانها ، ومغالبتها الزمان ، وهى قائمة الأركان ثابتة العمد ، ينحدر عنها الزمان ، ولا يزيدها القدم الا روعة وبهـاء ، لولا الاعتقاد المستكن فى النفس بحياة الأرواح ووجودها فى غلاف من الجسم لا يبلى ، ما اخترعوا تحنيط الأجسام الذى أبقى طائفة من الأجسام البشرية غبرت عليها السنون وهى لا تزال متماسكة لم تتحلل ، ولم تتناثر أشلاؤهـا •

٢ ــ ولقد كانت شدة تدينهم سببا فى أن دخل الدين عنصرا عاملا قويا فى كل أعمالهم الخاصة والعامة ، فالدين مسيطر حتى فى الكتابة فى الحاجات الخاصة وفى الارشادات الصحية ، وفى أوامر الشرطة ، وسلطان الحكم • ولقد تعددت بسبب ذلك الكائنات المقدسـة ، والأشياء التى يعتبر احترامهـا من احترامهم آلهتهم ، أو هى بذاتها تبلغ رتبة الآلهة ، وتصل الى مكانتها فى التقديس والعبادة ، وأن فلسفة المصريين نفسها ليست الا صورا للعقيدة واعمالا للفكر لكى يصـل الى ما يؤيدها ويجعلها منسجمة مع قضـايا العقل ، أو على الأقل لكى يجعل القضايا الدينية متناسبة ، يتماسك بعضها مع بعض ، ولا تنافر بين أجزائها ، ويضعها فى وحدة منطقية تجمعها ، وتضم متفرقها فى اطار فكرى واحد •

٣ ــ ولقد شده بعض العلماء بحـال التدين هذه التى شملت المصريين وتغلغلت فى كل شىء عندهم الى درجة تعاظم لديه أن يكونوا غير موحدين مـع تلك القوة فى التدين والتشدد فيه ، فزعم لهذا أنهم كانوا فى الجملة موحدين • وممن وقع فى هذا العلامة ماسبيرو ، فقد قال : « وكان اله المصريين واحدا فردا ، كاملا ، عالما بصيرا لا يدرك بالحس ، قائما بنفسه ، حيا ، له الملك فى السموات والأرض ، لا يحتويه شىء ، فهو أب الآباء ، وأم الأمهات ، لا يفنى ، ولا يغيب ، يملأ الدنيا ، ليس كمثله شىء ، ويوجد فى كل مكان » •

وهذا كلام ليس من الحق فى شىء ، لأن المصريين لم يكونوا موحدين ، وإذا أدرك هذا المؤلف خطأه ، فكتب فى طبعة ثانية من كتابه ما نصه : « تدلنـا الآثار على أنه كان لكل من الرهبان منذ أزمان الأسرة الأولى آلهته الخاصة وهذه الآلهة مقسمة الى ثلاثة فرق متباينة الأصول : آلهة الموتى ، وآلهة العناصر ، والآلهة الشمسية » فهذا الكلام يدل على أنه رجع عن رأيه القديم ، أو على الأقل هو تقييد لرأيه القديم ، ومنع له من الاطلاق •

٤ ــ وفى الحق أن الدارس الذى يريد أن يجافى الشطط يجب عليه الا يحكم بأن مدنية مكثت خمسة آلاف سنة ، وكان أهلها على ديانة واحدة غير سماوية ، لم تسر عليه قوانين التحول والتدرج ، والانتقال من حال الى حال ، ومن صورة الى صورة ، ومن غاية الى غاية ، لذلك لا نستطيع أن نقول ان ديانة المصريين مكثت أكثر من أربعين قرنا لم يعرها التغيير والتبديل ، وانهم كانوا على عقيدة واحـدة طوال تلك السنين ، ان ذلك ضد طبائع الأمم ، وضد قانون التحـول والانتقال •

فلا بد اذن من أن نقول ان المصريين كانت ديانتهم تتغير ، وعقائدهم تتبدل تبعا لسنة الله فى الأمم والكون ما دامت ديانتهم لم تعتمد على أصـل سماوى ، بل ان الديانات السماوية نفسها قبل الاســلام كان يعروها التحريف والتغيير والتبديل ، وتفهم على غير وجهها عندما يكون الناس على فترة من الرسل •

٥ ــ والواقع أن عقــائد المصريين كانت تتخالف بتخالف الأقاليم نفسها ، وكانت آلهتهم محليــة ، فكل مدينة كانت لها آلهتها • فكان مواطن أوزيريس فى أبيدوس ، وفتاح فى ممفيس ، وآمون فى طيبة ، وهوروس فى ادفو ، وهاتور فى دندرة ، الخ ••• ومكانة الاله تتبع مكانة المدينة التى يعبد فيها • وللآلهة مراتب

بعضها فوق بعض ، فكانت بمثابة سلسلة مراتب الهية تتبع مراتب المقاطعات السياسية •

ومن هذا يفهم أنه لم يعرف المصريون حتى التوحيد الاقليمى بأن يجتمعوا على آلهة واحدة فى كل اقليم ويتفقوا عليهم مهما تتباين جهات اقامتهم ، بل كانت آلهتهم محلية ، كل اقليم له آلهة خاصة به •

٦ ـ بيد أنه يجب علينا أن نعتقد أن دعوات الى التوحيد الخالص بعبادة اله واحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ـ قد توردت على العقل المصرى • وبعيد أن ننفى نفيا تاما عن المصريين فى مدى خمسة آلاف سنة ازدهرت فيها حضارتهم ونمت ـ أن تكون قد وردت عليهم عقيدة التوحيد بدعوة من رسول مبين •

ولقد ورد فى القرآن الكريم ما يفيد أن يوسف عليه السلام ، وهو نبى كريم من أنبياء الله دعاهم الى عبادة الواحد القهار ، فلقد ورد فى سورة يوسف ما حكاه الله عنه من كلام لصاحبى السجن فقد قال حاكيا عنه : « انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون • واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون • يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار • ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان • ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » •

من هذا الخبر الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه ، نحكم مستيقنين أن دعوة الى التوحيد قد وردت للمصريين ، فهذا يوسف وهو فى السجن يدعو صاحبيه الى الدين القيم ، وهجر عبادة ما سموه آلهة ، وان هى الا أسماء سموها وان ما يزعم لها من ألوهية ما هو الا نحلة ينحلونها اياها ، وأوصاف يصفونها من غير أن تنطبق على الموصوف فى شىء ، فألوهيتها وصف يذكر وليست حقيقة تعرف •

ولقد مكن الله ليوسف فى أرض مصر ، واستولى على خزائن الدولة وصار ذا سلطان مبين فيها ، وهو رسول من رب العالمين ، فلا بد أن يكون قد دعاهم

جهـرة الى الدين القيم ، ولا بد أن يكون قد أجابه منهم أناس ، ونكص على الاجابة غيرهم .

ومهما يكن من شيء فقد كانت دعوة يوسف الى التوحيد لها أثرها ، ولكن المصريين ألفوا عبـادة ما أنتجه خيالهم من ألوهيـة زعموها لبعض الأشـياء والحيوان ، فلما جاءتهم دعوة الى التوحيد صريحة قوية بما تستمده من بينات عقلية ، وأدلة منطقية ، تستقيم مع قضايا الفكر . آمن من آمن ، ومن لم يكن نافذ البصيرة ، قوى المدارك ، وقع فى حيرة بين قديم قد ألفه وتغلغل فى مكنون قلبه واستولى على أهوائه ومشاعره ، وجديد قد عرفه ورأى فيه استقامة فى الفكرة ، وقوة فى الاستدلال ، فكانت فى شك ومرية .

ويظهر أن صدى دعوة يوسف استمر أجيالا يعمل فى النفس المصرية ترى نور الحق منبعثا فيما أثر عن يوسف ، والنفس قد استهواها ما أثر عن الآباء والأجداد . ولذا قال تعالى حاكيا عن لسان مؤمن من آل فرعون عندما حثهم على عدم قتل موسى : « ولقـد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شـك مما جاءكم به ، حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب » فذلك الاضطراب بين القديم المألوف ، والجديد الحق المعروف ، هو الشك الذى استمروا فيه بعد يوسف عليه السلام ، وجاءت حكايته على لسان مؤمن آل فرعون .

٧ ـــ لم يكن المصريون اذن قد خلوا فى كل عصـورهم من دعـوات الى التوحيد نعلم منها يقينا دعوة يوسف عليه السلام ، ودعوة موسى عليه السلام ثم ان الهكسوس الذين جاءوا الى مصر . وحكموها أمدا غير قصير لا يمكن أن يكون مجيئهم قد خلا من دعوات دينية ، وخصوصا أنه ورد فى بعض الآثار أن ابراهيم عليه السلام قد زار مصر ، فلا بد أن يكون التوحيد قد كان موضـع دعاية له ، وان لم يكن موضع اجابة منهم .

وان احتكاك المصريين بالأسيويين فى الحروب الدائبة المستمرة لا بد أن يكون هو أيضا قد أطلع الغزاة والفاتحين على ما فى آسـيا من ديانات وآثار النبيين من شرائع وعقائد وأحكام ، وكل ذلك لا بد أن ينـال شيئا من النفس المصرية ، وان لم ينل القلوب ، ويستولى عليها استيلاء تاما .

ولكن تلك الأغذية الدينية ، وتلك الدعوات التوحيدية التى كانت تجيء اليهم

الحقبة بعـد الحقبة لم ترفع المصريين الى مرتبة الموحدين ، بل بسود عقائدهم التعدد فى جملة تاريخهم ، بل انهم لم يصلوا الى التوحيـد المحلى بأن يجمع المصريون على آلهة واحدة ، بل تعددت الآلهة بتعدد الأقاليم كما بينا .

٨ — ولكن يظهر أن الكهنة — وهم الفلاسفة أيضا — كانوا يجتهدون فى ان يجمعوا المصريين على آلهة واحدة ، ولذلك كانوا ينشرون عقيدة تعتبر هى العقيدة الرسمية للدولة ، وان انحراف الشعب عنها انحرافا يختلف فى قلتـه وكثرته باختـلاف الأقاليم المصرية ، ولم تكن تلك العقيدة متحدة فى كل أدوار مصر القديمة بل حالت واعتراها قانون التحول ، فتغيرت من دور الى دور . ولنذكر خلاصتها ، وما عراها من تغير .

تعتمد العقيدة الرسمية عند قدماء المصريين على أسطورة قديمة ترجع الى ما قبـل التاريخ فى نسبتها، وهى أن اله الانبات والخصوبة أو اله النيل واسمه أوزيريس قد عمل على تكوين مملكة الهية مكونة من أخته وزوجته آلهة الحكمة والتشريع والسحر واسمها ايزيس ، ووزيره اله التـدبير والعلم واسمه توت وغيرهم من الآلهـة . ولكن اخا أوزيريس واسمه سيت وهو اله الشر والقحط نفس على أخيه ما ناله من مكانة واجلال ودفعه الحقد الى ايذائه ، فغدر به ، واحتال عليه حتى وضعه فى تابوت ثم اقفله عليه والقى به فى اليم ، فلما تفقدته زوجته ولم تجده أخذت تنقب عنه حتى عثرت عليه ولكن قبل أن تتمكن من فتح التابوت هاجمها سيت وأخذ التابوت منها عنوة ، ومزق اخاه اثنين وسبعين شلوا بعدد مقاطعات مصر اذ ذاك . ونثر هذه الاجزاء فى المقاطعات ، فى كل مقاطعة شلوا ، ولكن مع ذلك لم تستيئس زوجتـه ، بل القى الوفاء فى قلبها شجاعة لا يأس معها ، وبجـد ودأب جمعت الاشــلاء من كل مكان وألقت كل جزء فى موضعه من الجسم وقرأت عليه بعضا من التعاويذ والرقى السحرية ، فعاد الى الحياة ، ولكنها حياة قصيرة ، كانت بقدر ما أنسل ابنه (هوروس) ثم غادر هذه الحياة الى الحياة الأخرى ليقوم بالحساب والميزان لأهل الدنيا .

وهنـا تكون المعركة بين هوروس وعمه سيت ، اذ ينكر نسب ابن أخيـه ويدعى أنه الوريث الوحيد لعرش أخيه فى المملكة الالهية ، ويرفع فى سبيل ذلك دعوى الى محكمة الآلهة ، فتهب ايزيس مدافعة عن ابنها وشرفها فتقضى المحكمة بثبوت النسب بشهادة توت ، ولكن النزاع لا ينتهى بذلك ، بل يأخذ كل يعمل على افساد أعمال الآخر فى الكون . وتكون دائرة هوروس فى الانتاج والعمارة ، ودائرة سيت فى الافساد والتدمير .

وصار من آثار ذلك التناحر ما كان بين الوجه القبلى والوجه البحرى من حروب مستمرة ، بل قد صار كل رئيس من رئيسى الوجه القبلى والوجه البحرى أحد هذين الالهين •

واستمرت الحال على ذلك حتى جاء مينا الأول ، فجمع فى سلطانه حكم مصر العليا والسفلى ، واعلن ان الالهين قد حلا فى جسده ، ومن ثم ابتدأت عقيدة تأليه الملك ، او حلول روح الاله فيه •

ولقد أخذت الفلسفة الدينية من ذلك الحين تعمل على التوفيق بين خلود الألوهية ، وفناء الجثمانية ، لأن فرعون يموت كما يموت سائر الناس ، والاله باق • فكيف يحل الباقى فى الفانى ! ! ثم كيف يموت من ارتفع الى مرتبة الألوهية ! ! ان الحس يؤكد الموت ، وعقائدهم تنافيه •

لقد دفعتهم الرغبه الملحه فى التوفيق بين ما يحسون وما يعتقدون الى أن قالوا : ان روح الاله هوروس ذات ثلاث شعب أولاها الروح الدنيا ، وهى التى تحل فى فرعون الزمان ، ثم تنتقل الى من يليه ، وتفيض عليه بقدسيتها ، والثانية الروح العليا الحاكمة فى السموات والأرضين ، والثالثة روح تبقى فى جسد فرعون الميت ، وتقوم بالنصح لفرعون الحى • ولا تبقى هذه الروح الا اذا بقى الجسم متماسكا ، ولذا أعملوا الحيلة لذلك ، وبنوا الأهرام وشيدوها لتكون حفاظا للجسم •

٩ — ولم يستمر فرعون موضع القداسة لحلول هوروس خليفة أوزيريس فى الألوهية ، بل ارتقى وصار يحل فيه رع كبير الآلهة ، وعلا عن سلطان أوزيريس عندما حالت العقيدة من ثالوث الى تاسوع ، وذلك لأن العقيدة المصرية كانت قائمة على تقديس ثالوث مكون من أوزيريس ، الأب ، وهوروس الابن ، وايزيس الأم ، والجميع يرجع الى واحد ، ولكن لم تستمر العقيدة على هذا التثليث ، بل انتقلت الى تقديس تاسوع بدل ثالوث ، وذلك التاسوع يرجع الى قوى الطبيعة الظاهرة المؤثرة فى تحولات الأشياء ظاهرا • فقد فرضوا أن العنصر الأول الذى تكونت منه الأشياء هو الماء ، وأول ما ظهر من الماء هو رع (الشمس) ومنه ظهر الهواء (سرا) والفراغ (تيفينه) ومن اجتماعهما كانت الأرض (جيب) والسماء (توت) ومن اجتماع الأخيرين نشأ النيل (أوزيريس) والأرض الخصبة (ايزيس) والصحراء (سيت) والأرض القاحلة (نيفتيس) •

وقد أعطى المصريون هذه الأشياء صفة الألوهية وأضفوا عليها صفات التقديس ، ولم تكن هذه هى الآلهة وحدها ، بل هناك رب الأرباب ، وأطلقوا عليه اسم (توم) وهناك آلهة أخرى منها « مآت » ابنة رع (وهى الهة الحقيقة والعدل) •

ولقد قال بعض العلماء : ان هذا التاسوع أفكار فلسفيه علمية أراد الفلاسفة أن يبينوها للعامة فلم يجدوا طريقا لتثبيتها فى قلوبهم الا أن يرفعوها الى مرتبة الآلهة • وعلى أية حال قد وصلت تلك الأشياء الى درجة الآلهة فى نظرهم سواء كان ذلك بتقديس المصريين من تلقاء أنفسهم أم بتلقين الفلاسفة والعلماء • والحق أن الفلسفة المصرية قد امتزجت بالدين امتزاجا شديدا ، فكان الكاهن هو الفيلسوف والعالم ، واذا كان الفلاسفة هم الكهان ، فكل ما يقولون دين لا فلسفة ماداموا يدعون العامة اليه ، وربما كانوا يضيفون معلومات فلسفة الى الدين ويدعون الناس اليها على أنها دين ، فاذا اعتنقها الناس ، فهى جزء من عقائدهم على هذا الأصل •

كل ما بيناه كان هو المذهب الرسمى ، أما عقائد العامة فكانت مختلفة باختلاف الأقاليم على النحو الذى بيناه •

١٠ — تقديس الحيوان عند قدماء المصريين :

اتفق المؤرخون على أن المصريين كانوا يعبدون الحيوان وتضافرت على ذلك الأخبار ، وبلغت حدا استفاضت معه ، فلا يستطيع أحد أن ينكرها • ولقد كانوا يتحمسون فى عبادتهم للحيوان الى حد لا يحلفون معه بقوى مهما تكن رهبته أن يمس ذلك الحيوان بسوء •

يروى أنه فى ابان سلطان الرومان على مصر قتل أحدهم قطا • وقد كان موضع عبادة فى ذاك الوقت ، فهاجم القاتل جمهور من الشعب وفتكوا به ولم ينجه من صاب نقمتهم أن أرسل الملك اليهم شفاعته فيه على لسان أحد قضاته فما قبلوا شفاعته ، وهم الذين اشتهروا أمام الرومان بالضراعة •

ويحكى بعض المؤرخين أنه رأى فى أثناء زيارته لمصر فى خوالى عصورها تمساحا مقدسا فى طيبة فيقول : « كان هذا الحيوان رابضا على سيف غدير فاقترب منه الكهنة ، وتقدم اثنان ففتحا فاه وحشاه ثالث حلوى وسمكا مشويا وعسلا مصفى » •

ولقد قال أحد الكتاب فى هذه العبـادة : « على هياكل المعـابد سجف منسوجة بالحرير فاذا ما تقدمت الى نهاية المعبد لترى التمثال تقدم اليك كاهن فى سكينة ووقار ، وهو يرتل مزاميره ، فيزيح قليلا من الستار ليريك الاله ، فلا ترى الا قطا ، أو تمساحا ، أو ثعبانا ، أو حيوانا مؤذيا ، فكأن اله المصريين دابة ملونة على بساط أرجوانى » ويحكى هيرودوت أنه شاهد نيرانا قد شبت فى مصر ، فوجد السكان جميعا قد اتجهوا الى انقاذ القطط قبل ان يتجهوا الى اطفاء النيران ، وذلك لكى لا يمس معبودهم بأى أذى •

١١ ــ وقد اختلفت عبارات المؤرخين فى الأمر الذى حفز المصريين الى عبادة الحيوان •

(أ) فيجىء فى عبارات بعضهم أن السبب هو ان المصريين الأقدمين قبل أن تتوحد كلمتهم ، ويخضعوا لسلطان واحد كانت قبائلهم تتنازع وتتناحر فينتصرون، وينهزمون ، فيرمز المنتصرون لقراهم ببعض الحيوانات القوية ولقرى خصومهم ببعض الحيوانات الضـعيفة • وقد استمرت تلك الرموز على ما تشير اليـه ردحا طويلا من الزمان ، ثم نسى الناس المعنى وبقى الرمز ، وصـارت أسماء تلك الحيوانات باقيـة فى الأذهان مقرونة بالتقديس محاطة بهالة من التأليه ، فقدست بلا فرق بين قوى وضعيف ، ومن غير نظر الى المعنى الذى كانت ترمز اليه ، والفكرة التى كانت مقصودة منها وصارت عبادتها على أنها آلهة ، لا أنها رموز لانتصار أو انهزام •

(ب) ويجىء فى عبارات بعض المؤرخين أن الحيوانات ما كانت تعبد لأنها آلهة ولكن لأنها رمز للآلهـة ، فكان لكل اله من آلهتهم رمز خاص به ، فيرمز لتوت برأس أبى قردان ، ويرمز لآمون اله طيبة برأس كبش ، وفتاح برأس عجل « ولما كان لكل مكان الهـه فله أيضا حيوانه المقدس ، وقد يكون الحيوان مقدسا فى مكان بينما هو غير مقدس فى غيره • فالتمساح الذى كان يعبد فى طيبة مثلا كان يطارد ويقتل فى غيرها » •

ولما سرت فكرة تقديس الحيوان الى العامة لم يعبدوه على أنه رمز للآلهة بل عبدوه على أنه من الآلهـة نفسها ، وبذلك صار عندهم فى صف الآلهـة ، وليس رمزا لها •

(ج) ويرجح بعض المؤرخين أن علماء الدين من المصريين الأقدمين كانوا يعتقدون حلول الآلهة فى الأجسام ، بل أنهم ما كانوا يتصورون عالما روحانياً مجردا من الجثمانية ، فالروح لا بد لها من جثمان تحل فيه، حتى انها عند الموت لا تفارق الجسم الا على عودة سريعة اليه ، واذا كان ذلك شأن الأرواح فهو أيضا شأن الآلهة ، لا بد من مأوى نأوى اليه فى الحياة ، وجسم تحل فيه • وقد أعملوا فكرهم فى الأحياء التى عساها تكون موضع حلول الآلهة ، فزعموها فى الأحياء التى تتصل بالخصب والانتاج ، والبذر والاثمار . وأحلوها فى غيرها لميزة لاحظوها أو توهموها • فأحلوا آلهتهم أحيانا فى ثور ، وأحيانا فى قط ، وأحيانا فى غيرهما • وصاروا يعبدون هذه الحيوانات على أنها أوعية قد حلت فيها الآلهة • فقوام عبادة الحيوان على هذا الرأى الراجح ، هو اعتقاد الحلول عند قدماء المصريين •

والعبادة كانت مقصورة على واحد من آحاد الحيوان المقدس يختار لصفات تلاحظ فيه • فمثلا فى عبادة الثور ما كانت كل آحاده تعبد ، بل يختار واحد منها لعلامات فى جسمه كان يعرفها الكهنة بملاحظات مهمة تتناول وضع الشعرات وضعا يمثل الأشكال المطلوبة ولو بتمثيل بعيد على نحو ما تمثل النجوم فى السماء الدب أو القيثارة •

ويقول هيرودوت فى وصف العجل الذى قد وافقت أوصافه العلامات عند الكهنة : « أبيس هذا عجل شاب لا تستطيع أمه أن تلد غيره ، ويقول المصريون أن بريقا يهبط من السماء عليها ، وأن هذا البريق ينبئها بأنه الاله أبيس • ويعرف هذا العجل ببعض علامات ، وشعره أسود ، وفى جبهته غرة مثلثة بيضاء ، وعلى ظهره صورة نسر ، وتحت لسانه صورة عجل وشعر ذيله مضاعف » •

واذا مات الحيوان المختار للحلول عم الحزن مصر ، على أن الكهنة لا يتركونه يعيش أكثر من خمس وعشرين سنة لأنه اذا بلغها أغرقوه فى عين مخصصة للشمس •

ولقد انتقلت بعد ذلك عقيدة المصريين من اختصاص حيوان من بين آحاد نوعه بحلول الآلهة فيه الى اعتقادهم أن الآلهة تحل فى النوع كله فكل البقر مقدس ، وكل القطط مقدسة ، وهكذا جنس كل حيوان نال مرتبة التقديس بحلول الآلهة فيه ، ولقد دفعتهم عقيدة الحلول هذه الى اعتقاد أن الحيوانات المقدسة

اوتيت علم الغيب ، والتعريف بالمستقبل ، ولهم فى ذلك أساطير وقصص جاد ببعضها الخيال الخصب وألبس بعضها لبوس الحقيقة والصدق والوهم الذى يرين على النفس ، فلا يجعلها ترى الأشياء على حقيقتها .

ومهما يكن من شيء فالمصريون كانوا يعبدون الحيوان ، ولا يمكن أن يكون سبب منطقى قد دفعهم الى ذلك ، بل لا بد أن يكون الدافع وهما باطلا وخيالا فاسدا ، لأن ذلك الاعتقاد باطل فلا يمكن أن يوصل اليه الا نظر منحرف وفكر غير قويم ، ومقدمات لا تمت الى المنطق بنسب ، ولا يربطها به سبب .

١٢ ــ الحياة الآخرة والنفس :

لعل أروع ما فى العقيدة المصرية القديمة ، اعتقادهم الحياة الآخرة ، وأنها الباقية بعد هذه الدنيا الفانية . فقد كانت هذه الدنيا فى نظرهم فترة قصيرة ، بعدها حياة لها أمد غير محدود ، بل ان دنيانا ليست الا ممرا الى ذلك الخلود . وقد قام اعتقادهم بالحياة الآجلة بعد هذه العاجلة على أساسين :

« أحدهما » أن هذه الدنيا معترك يتنازع فيه الشر والخير والبر والفاجر ، وكثيرا ما نرى فى هذا المعترك الشر ينتصر على الخير ، والفساق على الأبرار . فلو لم يكن هناك يوم كله للخير ، وكله على الشر ، يحاسب المسيء على اساءته ويكافأ المحسن باحسانه ما استقام العدل الالهى ، فمن العدالة الالهيــة اذن ان يكون يوم آخر يكون للأبرار على الفجار ، وللأطهار لا للأشرار . وأن تكون الحياة الباقية لينتصر فيها الخير ، وينتصف فيها من الشر .

« ثانيهما » اعتقادهم فى النفس الانسانية فهم يعتقدون وجود نفس تنفصل عن الجسم ، وان كانت تحل فيــه ، وأن تلك النفس ذات أربع شعب احداها الروح ، وهى أساس القــوى فى الانسان ، والثانية العقل والارادة ، والثالثة صورة من الأثير أو مادة أدق منــه على هيئة الجسم تماما ، والرابعــة الجوهر الخالد السامى الذى يشترك فيه الانسان مع الآلهة ، وهو سر الوجود والعلو ، وهذه الشعبة من شعب النفس متصلة بعالم الآلهــة ما دام الانسان على قيد الحياة ، فاذا مات اتصلت به اتصالا وثيقا . فأما الروح فهى التى تظل تتردد على الانسان فى قبره الى أن يجتاز الحساب ، ويصل الى مرتبة الثواب ، وعندئذ تعود اليه فيشعر بما يشعر به الأحياء .

ولقد كانوا يعتقدون أن النفس لا تعيش الا اذا كان الجسم سليما ، وسلامته هى التى تجعله صالحا لعودة الروح اليه بعد أن فارقته بالموت ، ولذا بذلوا أقصى الجهد فى المحافظة على الجسم ، وجعله صالحا لحلول النفس فيه بعد الموت ، وقد بعث ذلك فيهم الحيلة لأن يخترعوا تحنيط الموتى ، وبقاء المومياء على هيئة من التماسك وعدم التحلل لكى تعود النفس الى غلافها • ولقد اجتهدوا مع ذلك فى اقامة تماثيل للموتى تشبه أجسامهم تمام الشبه ، لكى تحل فيها النفس ان كان الجسم غير صالح ، وقد عددوا التماثيل للميت الواحد ، لأنه عسى أن يكون أحدها غير صالح فيكون الآخر صالحا ، ولكى تكون الروح فى فسحة من الأماكن ، فتنتقل من هذا الى ذاك •

وكانوا يعتقدون أيضا أن الميت او روحه فى العالم الآخر يحتاج الى ما يحتاج اليه الأحياء فى الدنيا من طعام وشراب ، وأن ما يقدم من ذلك فى الدنيا قربانا على أرواح الأموات يفيدهم فى الآخرة ، ولذلك تكون روح الميت فى أشد الألم اذا لم تقدم القرابين من طعام وشراب ، وما الى ذلك من متاعم الأحياء فى الدنيا •

١٣ — لهذه المعانى والخواص التى وصفوا النفس الانسانية بها ، والعدالة الالهية التى تسود الأكوان ، اعتقد قدماء المصريين أنه لا بد من حياة أخرى فيها النعيم المقيم للأخيار ، والعذاب الأليم للأشرار ، ثم انه قبل أن يصل الميت الى الثواب أو العقاب لا بد من الحساب ، والحساب يكون أمام محكمة تتألف من اثنين وأربعين قاضيا يرأسها أوزريس نفسه ، وتسأل المحكمة الشخص عما قدم من خير ، وما قدمت يداه من شر • وقد خاض المؤرخون فى بيان الفضائل التى كانت تعد فضائل فى نظر المصريين فى هذا المقام ، وقوام هذه الفضائل سلبى ، دعامته عدم الحاق الأذى والضرر بغيره من الناس ، وايجابى دعامته نفع الناس واطعام القانع والمعتر ، واذا انتهى الحساب أمر المحاسب أن يمر على الصراط ، وهو طريق ممدود فوق الجحيم ، فاذا اجتازه الشخص نجا وارتقى الى مرتبة الآلهة ، واذا سقط من فوقه انتهى الى واد فيه الأفاعى والحيات تتولى عقابه بقسوة ، حتى ينال الجزاء الأوفى على ما قدمت يداه •

ونرى من هذا أن الأبرار من الأموات يرتفعون الى مرتبة الآلهة ، ولهذا سرى عندهم عبادة الموتى ، وأضافوا اليهم صفات الألوهية وخواصها فى نظرهم ، بل انهم كانوا يعتقدون أن أرواح موتاهم تتصل بعالم الأحياء وتنبئهم بأسرار

المستقبل ، فتحذرهم مما عساه يكون فى سبيلهم من أخطار ، وتبشرهم بما عساه ينالهم من خير ، وقد ملئت أساطيرهم بشىء كثير مما يؤيد اعتقادهم فيما يزعمون.

كتاب الموتى :

١٤ — هو كتاب مشتمل على آداب وفضائل ، وعلى ما تلقته الروح لتحسن الاجابة أمام محكمة الحساب ، وهو يعد الكتاب الأعلى عند قدماء المصريين ، يتعبدون بتلاوته وهم أحياء ، ويوضع معهم فى قبورهم وهم أموات يزعمون أن أحد الآلهة قد كتبه بيده ، وقد جاء عن منزلة الكتاب فى أحد أبوابه « ان الكتاب يعلى شأن الميت فى أحضان رع ، ويحبوه السبق لدى توم ، ويجعله عظيما لدى أوزيريس ، ومرهوب الجانب لدى الآلهة . وكل ميت وضع له هذا الكتاب تخرج روحه نهارا مع الأحياء ، وتصعد الى الآلهة ، ولا يعترضها عارض من أحد ، تدنيه الآلهة منها ، وتلمسه لأنه شبهها ، ويثقفه هذا الكتاب على ما حدث منذ البدء . هذا الكتاب خفى ، وهو حق لم يعلم به أحد . انه ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت . انه لا يراه أحد سواك ، ومن علمك اياه فلا تزد عليه شيئا من خواطرك وخيالك ، بل قم بكل ما يدعوك اليه وسط بهو التحنيط ، انه سر لا يصل اليه عامى . انه غذاء الميت فى عالم الدنيا . وقوت روحه فى الأرض ، يجعله حيا دائما ، فلا يعلو عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء » .

والكتاب مشتمل على جميع الكلمات السحرية التى تستعمل لعلاج الأمراض ، ومشتمل على الصلوات والأدعيـة ، وعلى ما يجب للميت من تحنيط وطقوس دينية ، ويحكى ما يقوله الميت الذى أقيمت له الطقوس التى يدعو اليها الكتاب ، فيقول : « عندئذ يقول : تحية لك يا أبى أوزيريس لقد حنطت لحومى هذه ، ولن يتحلل جسمى ، فأنا غير محسوس ، مقتديا بك يا أبى أوزيريس ، حبذا الاله فى صورة رجل لا يتحلل جسمه » .

وفى الكتاب فصل قيم بما ينبغى أن تقوله الروح أمام المحكمة الالهية فى اليوم الآخر ، وقد سماه شامبليون اعترافا سلبيا ، واليك بعضه . « يا سادة الحقيقة ، اننى حامل الحقيقة ، اننى لم أخن أحدا ، ولم أغدر بأحد ، ولم أجعل أحدا من ذوى قرابتى فى ضنك ، ولم أقم بدنية فى موئل الحقيقة ، ولم أمازج عملى بشر قط ، وجافيت الضر والأذى ، ولم أعمل باعتبارى رئيس أسرة ما ليس من كمالها ، ولم أكن سببا فى خوف خائف ، ولا أعواز معوز ، ولا ألم متألم ،

ولا بؤس بائس ، لم أقدم على مالا يليق بالآلهة فلم أجع أحدا ، ولم أبك أحدا ، ولم أقتل نفسا ، وما حرضت أحدا على قتل أو خيانة ، ولم أكذب • ولم أسلب المعابد ذخائرها ، ولا المومياء طعامها ، ولم أرتكب أمرا لا يليق مع كاهن فى كهنوته • ولم أغل فى الأسعار ، ولم أطفف الكيل والميزان • ولم أسرق الماشية من مرعاها ، ولم أصد طير الآلهة ، ولم أدفع الماء فى عهد الفيضانات ، ولم أحول مجرى ترعة ، ولم أطفىء شمعة فى ساعتها ، ولم أخدع الآلهة فى قرابينها المختارة • فأنا نقى ، أنا نقى ، أنا نقى » •

وجاء فى الكتاب أيضا ما تقوله المحكمة عن الميت الذى تزكيه أعماله : « ليس فيه شر ولا خطيئة ولا فساد ولا دنس • وليس عليه اتهام ، ولا فى أعماله ما يثير الاعتراض ؛ فقد عاش من الحق وتغذى بالحق ، وان فعاله لتشرح الصدور ، وهى مما يطلبه الرجال ، ويسر الآلهة ، وقد أخلص للآلهة محبته ، وأعطى الخبز من كان خاويا ، والماء من كان صاديا ، واللباس من كان عاريا ، وأعار الزورق لمن ليس عنده ••• »

ويقول جوستاف لوبون فى التعليق على هذا الكلام : « ألا يظن من يقرأ هذا الكلام أنه يسمع صوت قرون سحيقة تتكلم من قبل بوذا والمسيح ، معلنة قانونها اللطيف للاحسان والنفع العام » •

وفى الحق أنه مهما يكن فى الديانة المصرية القديمة من أوهام وعقائد فاسدة ، لا تستمد من المنطق قوتها ، فان الآداب التى اشتملت عليها ، والفضائل التى تدعو اليها ، خصوصا الجانب السلبى منها ، كانت معينا خصبا ، قبست منه الديانات غير المنزلة وحكمة الحكماء شيئا كثيرا ، لأنها لم تخل من خير يقتبس ، وحكمة تقتنص ، ولله فى خلقه شئون •

البرهمية

١ ــ الهند من الأمم ذات التاريخ المجيد ، لها مدنية قديمة ، وحضارة توغل فى القدم الى أبعد أغوار التاريخ ، غير أن تلك الحضارة قد أنبتت الصلة بيننا وبين جزء كبير منها ، ولذا صار كنزاً مدفونا فى بطون القدم ، لم يكشف عنه التاريخ بعد ، والاثارة الباقية التى انصل تاريخها هى الجزء من تاريخهم الذى ابتدأ بالغزو الآرى • غير أن الكشف والبحث والنقوش ، وما تنطق به الأحجار التى لم يؤثر فيها كر الغداة ومر العشى • كل ذلك يشير الى أن فى طيات ذلك الدفين الذى ينشر من قبره بعد حضارة زاهية ، ومدنية سامية لسكان الأصقاع المترامية الأطراف الخصبة الجناب ، المكثيرة الخيرات ، بيد أن تلك الأثـارة لا تزال مبهمة ، تشير الى وجود حضارة سامية • ولم تبين كنهها وحقيقتها وكل مناحيها ، وحال السـكان من غنى أو فقير ، ونظم الحكم ومقـدار العلوم ، وفروعها ، وغير ذلك من مقومات الحضارة ، وعناصر تكوينها ، فمثل هذه الأمور لا يزال البحث جاريا فى كشفها واعلانها ، وقد أخذت الأسباب تتوافر ، ومادة الاستقراء والتتبع تتكون •

أما الغزو الآرى فقد تكونت حضارة اتصلت سلسلتها وأحاط بها التاريخ ، وهى متماسكة الأجزاء ، متصلة الحلقات ، فان التاريخ يروى أن قبيلة آرية غزت الهنـد حوالى القرن الخامس عشر قبل الميـلاد ، وفرضت على الهنود مدنيتها وحضارتها وديانتها ، وجاءوا الى حضارة الهنـد التى كانت لهم قبل الغزو ، فطمسوا معالمها ، وقوضوا دعائمها ، ولم يتركوهم أحرارا فى ديانتهم القديمة ، بل فرضـوا عليهم ديانتهم هم ونسخوا آلهتهم ، واستبدلوا بها آلهتهم التى يعبدونها هم •

٢ ــ وهنا تختلف كلمة المؤرخين ، وتتباين مناحى آرائهم فى جزئية نشير اليها ، ولا نلم بتفاصيلها ، تلك هى مقـام العنصر الآرى الأول ، وهو أوربا ، ورحل فريق منها الى ربوع آسـيا ، فكان منه فى فارس والهند قبـائل وأفخاذ وبطون بتلك الرحلة ، وعلى هذا الرأى أكثر العلماء والباحثين ، يقولون ان الهند كانت قبل الغزو الآرى مسكونة بقوم ساميين ، ثم جاء الآريون غزاة فاتحين •

ولكن يرى بجوار هـذا الرأى آخرون أن الآريين كان مقامهم الأول فى التركستان ، ومن التركستان انسابوا فى بعض بلاد آسـيا كفارس والهنـد ،

واستغرقوا كل أوربا ، وقد كان هذا هو الرأى القديم الى أن غلب عليه الرأى الثانى بما جد من بحوث كما يزعم العلماء الأوربيون •

ومهما يكن من شىء فان للهند مدنية تضرب فى القدم الى أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، ولكن قد طمست آثارهم بحضارة أخرى أتى بها غزاة فاتحون آريون ، سواء أكانوا موافقين على العنصر للسكان الأصليين أم غير موافقين •

ويهمنا نحن فى دراسة تاريخ ديانتهم أن نقول : ان أولئك الغزاة كانوا يحملون معهم ديانة أخرى غير ديانة الهنـــد القديمة • والديانة البرهمية التى سندرسها فى بحثنا هذا ليست هى الديانة القديمة ، بل أصولها من ديانة هؤلاء الفاتحين ، وسبيلها بعد ذلك فضل بيان •

٣ ـــ **الديانة القديمة :** أما الديانة القديمة فان التاريخ لا يشير اليها اشارة واضحة ، كما قلنا ولكن جملة ما يقال فيها ، وتشير اليـــه الآثار أن قوام هذه الديانة عبادة النيران ، فانها كانت المعبود المقدس الذى تقدم اليه القرابين من خبز وأعشاب وخمر ، ويتولى الكهنة ، وهم سدنة معابد النيران ، القيام بما يقتضيه التقديم من طقوس ورسوم فى تلك الديانة ، ولم تكن النار الاله المتفرد بالألوهية ، بل كان يشاركها فى التقديس آلهة أخرى منها الشمس ، لما تفيض به على الكون من أشعة مضيئة ، وحرارة منعشة للأجسام • ومنها حيوانات مخيفة كتنين مفزع أو وحش هائل ، وكانوا يعتقدون أن هنـــاك عالما آخر وهو عالم الأموات وأن الأخيار اذا ماتوا وقد رضيت عنهم آلهتهم تمنح أرواحهم معرفة الغيب ، وقدرة على التأثير فى الكون ، والمشاركة فى تصريفه وتدبيره بمجرد مغادرتها الأجسام ، وقد استمرت تلك الديانة هى السائدة فى الهند ، حتى جاءت ديانة الفاتحين •

٤ ـــ **الديانة الجديدة وهى البرهمية :** نسخت تلك الديانة القديمة وحلت محلها ، ولكن هل لنا أن نعتقد أنها محتها محوا ، وقامت على أنقاضها ، وشادت عليها دعائم بنائها !! ان التـــاريخ يثبت لنا أن العقائد لا تنتزع من النفوس انتزاعا ، وتستل من القلوب ، كما يستل دقيق الشعر مما يعلق به ، ويدخل فى نسجه ، ان العقائد التى تستمكن فى القلوب ، وتستقر فى ثنايا النفس ، لا تنتزع منها بفعل قاهر ، مهما تكن سطوته ، ولا بطغيـــان جبار مهما تكن قوته ، لأن العقائد تتصل بالنفوس والأرواح ، والقهر والغلبـــة سلطانهما على الأبدان ،

لا على القلوب ، ولئن فعلت الدعاية والاقناع فعلهما ليكونن أقصى غاياتهما أن يغذيا النفس المتدينة بعقائد قديمة مألوفة لها ، بغذاء جديد يتفاعل مع ما فى أغوارها من عقائد ، ويتمازج معه ويتمثل منهما عنصر جديد قد نال من كلا المتمازجين أشطرا ، وأخذ من كل واحد نصيبا ، يتفاوت بتفاوت قوته ، ومقدار استمكانه فى النفس ، وقوة اقتناعها به •

واذا طبقنا تلك النظرية التى تصل الى مرتبة البدهيات المقررة عند مؤرخى الأديان ، فلا بد أن نقول ان الديانة الجديدة لم تمح الديانة القديمة محوا ، ولم تزل كل آثارها ، بل ان الناس قد مازجوا بين قديمهم وما عرض لهم ، ولا بد أن نقول مع ذلك ان أولئك الفاتحين لم يسلكوا مسلك القهر والغلب فقط فى حمل الناس على الدين الجديد ، بل أضافوا الى ذلك الاقناع والتأثير بالحجة ، واجتمع لدى الهنود من تفاعل القديم والجديد فى نفوسهم مزيج لعله أقرب الى الجديد فى صورته ، ولا ينافى القديم فى معناه •

٥ ـ العقيدة البرهمية : يقسم أبو الريحان البيرونى الهنود بالنسبة لاعتقادهم فى البرهمية الى خاصة وعامة ، ويفرض أن الخاصة موحدون وغيرهم وثنيون ، وهو يقول فى هذا المقام : « انما اختلف اعتقاد الخاص والعام فى كل أمة بسبب أن طباع الخاصة تنازع المعقول ، وتقصد التحقيق فى الأصول ، وطباع العامة تقف عند المحسوس ، وتقتنع بالفروع ، ولا تروم التدقيق وخاصة فيما افتنت فيه الآراء ، ولم تتفق عليه الأهواء » •

وبعد ذلك يبين اعتقاد الخاصة بأن معبودهم واحد أزلى ، فيقول : « واعتقاد الهند فى الله سبحانه وتعالى أنه الواحد الأزلى ، من غير ابتداء ولا انتهاء ، المختار فى فعله ، القادر الحكيم المحيى المدبر • المنفرد فى ملكوته عن الأضداد والأنداد ، لا يشبه شيئا ولا يشبهه شىء ، ولنورد لك شيئا من كتبهم لئلا تكون حكايتنا كالشىء المسموع فقط •

« قال السائل فى كتاب باتنجل : من هذا المعبود الذى ينال التوفيق بعبادته ؟ » •

قال المجيب : هو المستغنى بأزليته ووحدانيته عن فعل ، لمكافأة عليه براحة تؤمل وترجى ، أو شدة تخاف وتتقى ، والبرىء عن الأفكار ، لتعاليه عن الأضداد المكروهة والأنداد المحبوبة ، والعالم بذاته سرمدا ، اذ العلم الطارىء يكون لما لم

يكن بمعلوم . وليس الجهل بمتجه عليه فى وقت ما أو حال . ثم يقول السائل بعد ذلك : فهل له من الصفات غير ما ذكرت ؟ فيقول المجيب : العلو التام فى القدر لا المكان ، فانه يجل عن التمكن ، وهو الخير المحض التام الذى يشتاقه كل موجود ، وهو العلم الخاص عن دنس الهوى والجهل . قال السائل : أفتصفه بالكلام ، أم لا ؟ قال المجيب : اذا كان عالما فهو لا محالة متكلم .

قال السائل : فان كان متكلما لأجل علمه ، فما الفرق بينه وبين العلماء الحكماء الذين تكلموا من أجل علومهم ؟ قال المجيب : الفرق بينهم هو الزمان فانهم تعلموا فيه وتكلموا بعد أن لم يكونوا عالمين ولا متكلمين ، ونقلوا بالكلام علومهم الى غيرهم ، فكلامهم وافادتهم فى زمان ، اذ ليس للأمور الالهية بالزمان اتصال ، فالله سبحانه وتعالى عالم متكلم فى الازل ، وهو الذى كلم براهم وغيره من الأوائل على انحاء شتى ، فمنهم من القى اليه كتابا ، ومنهم من فتح الواسطة بابا ، ومنهم من أوحى اليه فنال بالفكر ما افاض عليه . قال السائل : فمن أين له هذا العلم ؟ قال المجيب : علمه على حاله فى الأزل ، واذ لم يجهل قط فذاته عالمة ، لم تكتسب علما لم يكن له ، كما قال فى بيذ الذى أنزل على براهم : احمدوا وامدحوا من تكلم ببيذ ، وكان قبل بيذ .

قال السائل : كيف تعبد من لم يلحقه الاحساس ؟ قال المجيب : تسميته تثبت آنيته فالخبر لا يكون الا عن شيء ، والاسم لا يكون الا لمسمى ، وهو ان غاب عن الحواس فلم تدركه ، فقد عقلته النفس ، واحاطت بصفاته الفكرة .

وهذه هى عبادته الخالصة ، وبالمواظبة عليها تنال السعادة » .

ويعتبر هذا الكلام الذى جاء فى كتبهم عقيدة الخواص . أما العوام فيرى انهم انحرفوا عن تعاليم تلك الكتب ، وزادوا أقاويل من عندهم .

ويقول حينئذ : « ثم ان تجاوزنا الخواص الى عوامهم اختلفت الأقاويل عندهم . وربما سمجت ، كما يوجد مثله فى سائر الملل . بل فى الاسلام من التشبيه والاجبار » .

وعند الكلام على عبادة الأصنام يتكلم بما يفيد أن عبادة الأصنام نحلة العوام لا الخواص ، فيقول : « معلوم أن الطباع العامية نازعة الى المحسوس ،

نافرة من العقول الذى لا يعقله الا العالمون ، الموصوفون فى كل زمان ومكان بالقلة ، ولسكونه الى المثال عدل كثير من أهل الملل الى التصوير فى الكتب والهياكل كاليهود ، والنصارى ، والمنانية » •

ويسترسل فى ذكر الأشياء والأمثال ، ثم يبين الخرافات التى اتخذت أساساً لعبادة الأوثان ، مسندا أساس ذلك الى ملك من ملوكهم •

٦ — هذا كلام البيرونى ، كله ناطق بأن خواص الهنود موحدون ، وعوامهم وثنيون ، ولنا نظرة فى كلامه ، وذلك أنه فى الاستدلال لدعواه نقل نصوصا من كتبهم ، وأن هذه لا تمنع أنه يوجد فى الكتب ما يناقضها ، ففيها ما يشير الى الأقانيم الثلاثة التى سنبينها ، ففى هذه الكتب عبارات تفيد وحدة الاله المسيطر بينما فيها ما يفيد التثليث أيضا ، ويجب أن يفهم هذا محمولا على ذلك ليتكون منهما وحدة مؤتلفة الأجزاء ، مترابطة الأفكار ، فاذا فسرنا الوحدة اذن بما يتفق مع عقيدة التثليث والحلول التى سنبينها ، لا تكون فكرة التوحيد التى نقل عبارتها مفيدة لمعنى التوحيد الذى يفهمه المسلمون •

ولو سلمنا أن الكتب التى نقل عنها لا يفسر فيها التوحيد الا بالمعنى الذى نفهمه معاشر المسلمين ، وما تدل عليه ظواهر عبارتها ، فمن أين جاء لنا أن الخواص لم ينحرفوا عن مسلك تلك الكتب ؟ وانك لتجد فى التوراة التى يقرؤها اليهود اليوم عبارات وأحكاما دينية قد تجانف عنها اليهود جميعا اليوم ، خواصهم وعوامهم فى ذلك سواء ، ولو كان قد حكى لنا أخبارا عن موحدى الخواص الذين لقيهم وشاهدهم وتحدث اليهم ، وحاورهم وعرف حقيقة نحلتهم لتلقينا كلامه بالقبول ، ولصدقناه فى كل ما يدعى من توحيد الخواص ، اما نقل نص الكتب فليس بكاف لاثبات أن الانحراف لم يقع ، فان الانحراف عن المبادىء الدينية اذا وقع تسمل الخواص والعوام • بل فى بعض الأحيان يبدأ بالانحراف من يكون فى مرتبة الخواص • وان الفرق التى ضربها فى الاسلام مثلا — وهم المشبهة ، والجبرية — حجة عليه ، وليسوا حجة له ، فان أولئك لا نستطيع ان نقول انهم من العوام ، بل هم فى مرتبة الخواص ، لأن منهم من كان ذا فلسفة وذا علم ، لهذا كله لا نستطيع أن نسلم للبيرونى دعواه لأن ما ساقه من الأدلة لا ينتجها ، وليس بطلان الدليل مستلزما بطلان المدلول ، فيجوز أن يكون فيهم موحدون يعتقدون التوحيد كما يعتقد المسلمون ، ولكن ما ساقه من دليل لا يصلح أن

يكون حجة فى هذا المقام ويظهر على أية حال أن موحديهم (ان كانوا) من الندرة بحيث لا يمنعون تعميم الحكم بالوثنية على البرهميين ، لأن الحكم يتبع الغالب الشائع ، ولا يتبع القليل النادر •

٧ ــ ومنشأ الوثنية فى الديانة البرهمية أنهم كانوا يعبدون القوى المؤثرة فى الكون وتقلباته فى زعمهم ، ثم لم يلبثوا أن جسدوا تلك القوى ، بأن اعتقدوا حلولها فى بعض الأجسام ، فعبدوا الأصنام لحلولها فيها ، وتعددت آلهتهم حتى وصلت الى ثلاثة وثلاثين الها ، ثم عرا عقائدهم التغيير والتبديل ، حتى انحصر الآلهة فى ثلاثة أقانيم ، وذلك أنهم توهموا أن للعالم ثلاثة آلهة ، وهى :

١ ــ براهما وهو الاله الخالق مانح الحياة ، والقوى الذى صدرت عنه جميع الأشياء ، والذى يرجو لطفه وكرمه جميع الأحياء ، وينسبون اليه الشمس التى بها يكون الدفء وانتعاش الأجسام ، وتجرى الحياة فى الحيوان والنبات فى زعمهم •

(٢) سيفا أو سيوا ، وهو الاله المخرب المفنى الذى تصفر به الأوراق الخضراء ويأتى الهرم بعد الشباب ، وتفنى مياه الأنهار فى لجج البحار ، وينسبون اليه النار ، لأنها عنصر مدمر مخرب ، ان تأجج لا يبقى ولا يذر •

(٣) ويشنو أو بشن على حد تعبير البيرونى ، ويعتقدون أن ويشنو هذا حل فى المخلوقات ليقى العالم من الفناء التام ، ولقد جاء فى كتاب البيرونى : « ان باسيديو يقول فى الكتاب المعروف بكيتا : أما عند التحقيق فجميع الأشياء الهية ، لأن بشن جعل نفسه أرضا ليستقر الحيوان عليها ، وجعلها ماء ليغذيهم ، وجعلها نارا وريحا لينميهم وينشئهم ، وجعلها قلبا لكل واحد منهم ، ومنح الذكر والعلم وضديهما ، وان كل معانى الخير والسمو من فيض ويشنو ، وكل الحكماء والصالحين ، يقومون بالعدل والصلاح والفضيلة ، وينصرون الأخيار على الأشرار بفيض من ويشنو » •

وهذه الآلهة الثلاثة أقانيم لاله واحد فى زعمهم ، والاله الواحد هو الروح الأعظم واسمه بلغتهم (آتما) •

ودون هذه الآلهة الثلاثه آلهة آخرى دون هذه الآلهة سلطانا وقوة وعبادة ، وهم من هؤلاء فى الدرجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة ولكن براهمتهم وهم علماء الدين يرجعون كل شىء الى الآلهة الثلاثة ، ويرجعون كل شىء الى اله واحد ، ولا يصح أن نفهم من هذا أن البراهمة يعتقدون التوحيد المطلق الذى نفهمه من كلمة التوحيد ، والا كان العرب موحدين ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الله خالق كل شىء ، ولكنهم كانوا يعبدون الأوثان ، ويقولون : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، وهذا ليس من التوحيد فى شىء ، لأن التوحيد الكامل هو التوحيد فى العبادة والخلق والاعتقاد ، وليس توحيد البراهمه ولا جاهليى العرب شيئا منه •

٨ ــ والهنود يعتقدون أن بعض آلهتهم حلت فى انسان اسمه كرشنة ، والتقى فيه الاله بالانسان ، أو حل اللاهوت فى الناسوت فى كرشنة ، كما يعبر المسيحيون عن المسيح ، ويصفونه بأنه البطل الوديع المملوء ألوهية ، لأنه قدم شخصه فداء للخليقه عن ذنبها الأول ، ويقولون ان عمله لا يقدر عليه أحد سواه •

ويعتقدون أن الاله وشنو الابن وثانى الأقانيم قد حل فيه ، ومن الغريب أنهم يذكرون حول « كرشنه » من الأساطير والعجائب ما يشبه ما جاء بالأناجيل عن المسيح ، فكرشنه ولد من عذراء مخطوبه ، اسمها ديفاكى ، ويصفونه بأنه الاله وأن ولادته أحيطت بعجائب ، فالأرض سبحت ، وظهر نجمه فى السماء ، وترست الارواح فرحا وطربا ، ورنل السحاب بانعام مطربه ، وقد ولدته امه فى غار فأضاء عند ولادته بنور عظيم ، وصار وجه امه يرسل أشعه نور ومجد ، ويزعمون أنه كان لامه قبيل ولادته خطيب قد خطبها لتكون زوجا له ، كما اعتقد النصارى أن مريم أم المسيح كان لها خطيب اسمه يوسف النجار • والقول الجملى أن الهنود يعتقدون فى كرشنة ما يعتقده المسيحيون فى المسيح ، وقد عقد صاحب كتـــاب « العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية » موازنة بين أقوال الهنود فى كرشنة ، وأقوال المسيحيين فى المسيح ، فتقارب الاعتقادان حتى أوشكا أن يتطابقا • واذا كانت البرهمية أسبق من النصرانية المحرفة ، فقد علم اذن المشتق والمشتق منه ، والاصل وما تفرغ عنه ، وعلى المسيحيين أن يبحثوا عن أصل دينهم •

ولننقل لك بعضا من هذه الموازنة على سبيل المثال ، وغيره يقاس عليه .

أقوال الهنود الوثنيين فى كرشنة ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين فى يسوع المسيح ابن الله
كرشنة : « هو المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس ، وهو الآب والابن وروح القدس »	يسوع المسيح : « هو المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس ، وهو الآب والابن وروح القدس »
١ ــ قد مجد الملائكة ديفاكى والدة كرشنة بن الله ، وقالوا يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة	١ ــ دخل الملاك على مريم العذراء والدة يسوع المسيح وقال لها سلام لك أيها المنعم عليها ، الرب معك
٢ ــ عرف الناس ولادة كرشنة من نجمه الذى ظهر فى السماء	٢ ــ لما ولد يسوع المسيح ظهر نجمه فى المشرق وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته
٣ ــ لما ولد كرشنة سبحت الأرض وأنارها القمر بنوره وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء فرحا وطربا ، ورتل السحاب بأنغام مطربة	٣ ــ لما ولد يسوع المسيح رتلت الملائكة فرحا وسرورا وظهر من السحاب أنغام مطربة

(١) كتاب تاريخ الهند المجلد الثانى ص ٣٢٩

(٢) كتاب تاريخ الهند المجلد الثانى ص ٣١٧ ، ٣٦٧

(٣) كتاب فشنوبورانا ص ٥٠٢

(١) انجيل لوقا الاصحاح الثالث ص ٢٨ ، ٢٩ وانجيل مريم الاصحاح السابع

(٢) انجيل متى الاصحاح الثانى العدد ٣

(٣) انجيل لوقا الاصحاح الثانى العدد ١٣

كرشنة	يسوع المسيح
٤ ـ كان كرشنة من سلالة ملوكانية ولكنه ولد فى غار بحال الذل والفقر	٤ ـ كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانيـة ويدعونه « ملك اليهـود » ولكنه ولد فى حالة الذل والفقر بغار
٥ ـ لمـا ولد كرشنة أضىء الغـار بنور عظيم وصـار وجه أمه ديفاكى يرسل أشعة نور ومجد	٥ ـ لمـا ولد يسوع المسيح أضىء الغار بنور عظيم أعيـا بلمعانه عينى القابلة وعينى خطيب أمه يوسف النجار
٦ ـ ومن بعد ما وضعته صارت تبكى وتندب سـوء عاقبة رسـالته فكلمها وعزاها	٦ ـ وقال يسوع المسيح لأمه وهو طفل : يا مريم أنا يسوع بن الله وجئت كما أخبرك جبرائيل الذى أرسله أبى اليك وقد أتيت لأخلص العالم
٧ ـ وعرفت البقرة أن كرشنة اله وسجدت له	٧ ـ وعـرف الرعاة يسوع وسجدوا له
٨ ـ وآمن الناس بكرشنة واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا من صـندل وطيب	٨ ـ وآمن النـاس بيسوع وقالوا بلاهوته وأعطوه هدايا من طيب ومر

(٤) كتاب دوان ص ٢٩٧	(٤) دوان ص ٢٧٩
(٥) دوان ص ٢٩٧	(٥) انجيل ولادة يسوع المسـيح الاصحاح ١٢ والعدد ١٣
(٦) تاريخ الهنـد المجلد الثـانى ص ٣١١	(٦) انجيل الطفولية الاصحاح الأول العدد الثانى والثالث
(٧) دوان ص ٢٧٩	(٧) انجيل لوقا الاصحاح الثانى من عدد ٨ ـ ١٠
(٨) كتاب الديانات الشرقية ص ٥٠٠ وكتاب الديانات القديمـة المجلد الثانى ص ٣٥٣	(٨) انجيل متى الاصـحاح الثـانى العدد ٢

٩ — وسمع نبى الهنود «نارد» بمولد الطفل الالهى كرشنة فذهب وزاره فى « توكول » وفحص النجوم فتبين له من فحصها أنه مولود الهى يعبد

٩ — ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك أن المجوس من المشرق قد جاءوا الى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود

١٠ — لما ولد كرشنة كان « ناندا » خطيب أمه ديفاكى غائبا عن البيت حيث أتى الى المدينة كى يدفع ما عليه من الخراج للملك

١٠ — ولما ولد يسوع كان خطيب أمه غائبا عن البيت وأتى كى يدفع ما عليه من الخراج للملك

١١ — ولد كرشنة بحال الذل والفقر مع أنه من عائلة ملوكانية

١١ — ولد يسوع المسيح بحالة الذل والفقر مع أنه من سلالة ملوكانية

١٢ — وسمع ناندا خطيب أمه ديفاكى والدة كرشنة نداء من السماء يقول له : قم وخذ الصبى وأمه فهربهما الى كاكول واقطع نهر جمنه لأن الملك طالب اهلاكه

١٢ — وأنذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كى يأخذ الصبى وأمه ويفر بهما الى مصر لأن الملك طالب اهلاكه

---

(٩) تاريخ الهند المجلد الثانى ص ٣١٧

(١٠) كتاب فشنوبورانا الفصل الثانى من الكتاب الخامس

(١١) التنقيبات الآسيوية المجلد الأول ص ٢٥٩ وتاريخ الهند المجلد الثانى ص ٣١٠

(١٢) كتاب فشنوبورانا الفصل الثالث

(٩) انجيل متى الاصحاح الثانى عدد ١ ، ٢

(١٠) انجيل لوقا الاصحاح الثانى من عدد ١ — ١٧

(١١) انظر تعداد نسبه فى انجيل متى وانجيل لوقا

(١٢) انجيل متى الاصحاح الثانى عدد ١٣

١٣ — وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنة الطفل الالهى وطلب قتل الولد، وكى يتوصل الى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا فى الليلة التى ولد فيها كرشنة

١٣ — وسمع حاكم البلاد بولادة الطفل يسوع الالهى وطلب قتله وكى يتوصل الى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذين ولدوا فى الليلة التى ولد فيها يسوع المسيح

١٤ — واسم المدينة التى ولد فيها كرشنة « مطرا » وفيها عمل الآيات العجيبة ولم تزل محل التعظيم والاحترام عند الهنود العابدين للأوثان القائلين عن كرشنة انه ابن الله وانه الله الى يومنا هذا

١٤ — واسم المدينة التى هاجر اليها يسوع المسيح فى مصر لما ترك اليهودية المطرية ، ويقال انه عمل فيها آيات وقوات عديدة

١٥ — كانت ولادة القديس راما قبل ظهور كرشنة فى الناسوت بزمن قليل وقد سعى فانسا ملك البلاد فى اهلاك القديس راما واهلاك كرشنة أيضا

١٥ — وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل وقد سعى الملك هيرودس فى اهلاك الطفل يسوع المسيح وكان يوحنا مبشرا بولادة يسوع المسيح

---

(١٣) دوان ص ٢٨٠

(١٤) تاريخ الهند المجلد الثانى ص ١٧ م والتنقيبات الآسيوية المجلد الأول ص ٢٥٩

(١٥) تاريخ الهند المجلد الثانى ص ٣١٦

(١٣) أنجيل متى الاصحاح الثانى

(١٤) المقدمة على انجيل الطفولية تأليف هيجين

(١٥) انجيل تاريخ ولادة يسوع المسيح الاصحاح السادس

١٦ — وربى كرشنة بين الرعاة ولما جئ به الى مطرا كان فى احتياج عظيم الى التعليم فأتى له بمعلم خبير وفى وقت قليل فاق على أستاذه فى العلوم وأعياه فى المسائل العلمية السنسكريتية الدقيقة

١٧ — وفى أحد الأيام كان كرشنة سائراً مع قطيع من البقر فاختاروه ملكا عليهم وذهبت كل بقرة الى المكان الذى عينه لها هذا الملك

(١٦) دوان ص ٢٨٠ وتاريخ الهند المجلد الثانى ص ٣٢١

(١٧) تاريخ الهند المجلد الثانى ص ٣١٢

١٦ — وأرسل يسوع المسيح الى عند المعلم زاخوس كى يعلمه فكتب له أحرف ألف ، باء وقال ليسوع قل — ألف — فقال الرب يسوع أخبرنى أولا عن معنى حرف الألف ومن بعده أقول حرف الباء فتهدد المعلم يسوع بالضرب فقام يسوع وفسر معنى الألف والباء وأخبره عن الحروف المستقيمة والحروف المنحنية والحروف المثناة والتى لها نقط وحركات والتى ليس لها نقط ولماذا وضعت فى هذا الترتيب أى بعض الحروف قبل غيرها وطفق يخبر عن أشياء لم يسمع بها المعلم من قبل ولم يقرأها فى كتاب

١٧ — وفى شهر آذار جمع يسوع الأولاد ورتبهم كأنه ملك عليهم واذا مر بهم أحد كانوا يأخذونه غصبا ويأمرونه بالسجود للملك

(١٦) انجيل الطفولية الاصحاح العشرين عدد ١ الى ٨

(١٧) انجيل الطفولية الاصحاح ١٨ من عدد ١ — ٣

١٨ — وفى أحد الأيام لسعت الحية بعض أصـحاب كرشـنة الذين يلعب معهم فماتوا فأشفق عليهم لموتهم الباكر ونظر اليهم بعين ألوهيته فقاموا سريعا من الموت وعادوا أحياء

١٨ — وبينما كان يسـوع يلعب لسعت الحية أحد الصبيان الذين كان يلعب معهم فلمس يسوع ذاك الصبى بيده فعاد الى حال صحته ٠

١٩ — وسرق بعض أصحاب كرشنة مع عجولهم وأخفاهم السارقون فى غار فخلق كرشنة أصحابا وعجولا مثلهم فى الشكل والهيئة

١٩ — وأخفى الأولاد الذين كانوا يلعبون مـع يسوع أنفسهم فى فـرن فبدلوا الى هيئة جداء فناداهم يسوع تعالوا انى هنا يأيهـا الأولاد لنلعب فأعيـدت تلك الجـداء هيئتهم الأولى صبيانا

٢٠ — وأول الآيات والعجائب التى عملها كرشنة شفاء الأبرص

٢٠ — وأول الآيات والعجائب التى عملها يسوع المسيح هى شفاء الأبرص

٢١ — وأتى كرشـنة بامرأة فقيرة مقعـدة ومعها اناء فيـه طيب وزيت

٢١ — وفيما كان يسوع فى بيت عتيا فى بيت سمعان الأبرص تقدمت اليـه

---

(١٨) تاريخ الهنـد المجلد الثـانى ص ٣٤٣

(١٩) تاريخ الهنـد المجلد الثـانى ص ١٤ وكتاب خرافات الآريين المجلد الثانى ص ١٣٦

(٢٠) تاريخ الهنـد المجلد الثـانى ص ٣١٩

(٢١) تاريخ الهنـد المجلد الثـانى

(١٨) انجيل الطفولية الاصحاح ١٨

(١٩) انجيل الطفولية الآصحاح ١٨

(٢٠) انجيل متى الاصحاح الثامن العدد الثانى

(٢١) انجيل متى الاصحاح السادس والعشرين عدد ٦ ، ٧

كرشنة	يسوع
وصندل وزعفران وغير ذلك من أنواع الطيب فدهنت منه جبين كرشنة بعلامة مخصوصة وسكبت البـاقى على رأسه	امرأة معها قارورة طيب كثيرة الثمن مُسكبته على رأسه وهو متكىء
٢٢ ـ كرشـنة صـلب ومات على الصليب	٢٢ ـ يسـوع صـلب ومات على الصليب
٢٣ ـ لمـا مات كرشـنة حـدثت مصـائب وعلامات شر عظيم وأحاط بالقمر هالة سـوداء وأظلمت الشمس فى وسط النهـار وأمطرت السماء نارا ورمادا وتأججت أشعة نار حامية وصار الشياطين يفسـدون فى الأرض وشاهد الناس ألوفا من الأرواح فى جو السماء يتراوحون صباحا ومساء وكان ظهورها فى كل مكان	٢٣ ـ لمـا مات يسـوع حـدثت مصائب جمـة متنوعة وانشق حجاب الهيكل من فوق الى تحت ، وأظلمت الشمس من الساعة السادسة الى الساعه التاسعة وفتحت القبور وقام كثيرون من القديسين وخرجوا من قبورهم
٢٤ ـ وثقب جنب كرشـنة بحربة	٢٤ ـ وثقب جنب يسوع بحربة
٢٥ ـ وقال كرشنة للصياد الذى	٢٥ ـ وقال يسوع لأحـد اللصين

---

(٢٣) كتاب ترقى التصورات الدينية المجلد الأول ص ١٧	(٢٣) انجيل متى الاصحاح الثـانى والعشرين وانجيل لوقا أيضا
(٢٤) دوران ص ٢٨٣	(٢٤) دوان ص ٢٨٢
(٢٥) فشنو برانا ص ٢٨٢	(٢٥) انجيل لوقا الاصحاح الثالث والعشرين عدد ٣ ، ٤

راماه بالنبلة وهــو مصــلوب اذهب أيها الصياد محفوفا برحمتى الى السماء مسكن الآلهة

٢٦ — ومات كرشنة ثم قام من بين الأموات

٢٧ — ونزل كرشنة الى الجحيم

٢٨ — وصعد كرشنة بجســده الى السماء وكثيرون شاهدوه صاعدا

٢٩ — ولســوف يأتى كرشــنة فى اليوم الأخير ويكون ظهوره كفــارس مدجج بالســلاح وراكب على جــواد أشــهب وعنــد مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء

٣٠ — وهو — أى كرشنة — يدين الأموات فى اليوم الأخير

للذين صلبا معــه الحق أقول لك ان ليوم تكون معى فى الفردوس

٢٦ — ومات يسوع ثم قام من بين لأموات

٢٧ — ونزل يسوع الى الجحيم

٢٨ — وصعد يسوع الى الســماء ـحيرون شاهدوه صاعدا

٢٩ — ولسوف يأتى يسوع فى اليوم لأخير كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعنــد مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز تتساقط النجوم من السماء

٣٠ — ويدين يســوع الأموات فى ليوم الأخير

---

(٢٦) دوان ص ٢٨٢
(٢٧) دوان ص ٢٨٢
(٢٨) دوان ص ٢٨٢
(٢٩) دوان ص ٢٨٢
(٣٠) دوان ص ٢٨٣

(٢٦) انجيل متى الاصحاح ٢٨
(٢٧) دوان ص ٢٨٢ وكذلك كتــاب لايمان المسيحى
(٢٨) انجيل متى الاصحاح الرابع والعشرين
(٢٩) انجيل متى الاصحاح ٢٤
(٣٠) انجيــل متى الاصــحاح ٢٤ العدد ١ ، ٣ ورسالة الرومانيين

٣١ ــ ويقولون عن كرشنة : الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدى

٣٢ ــ كرشنة الألف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء

٣٣ ــ لما كان كرشنة على الأرض حارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التى كانت تكتنفه ونشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات كاحياء الميت وشفاء الأبرص والأصم والأعمى وأعادة المخلوع كما كان أولا : ونصرة الضعيف على القوى ، والمظلوم على ظالمه وكانوا اذ ذاك يعبدونه ؛ ويزدحمون عليه ويعدونه الها

٣٤ ــ كان كرشنة يحب تلميذه أرجونا أكثر من بقية التلاميذ

٣٥ ــ وفى حضور ارجونا بدلت هيئة كرشنة وأضاء وجهه كالشمس ومجد العلى اجتمع فى الآلهة فاحنى

(٣١) دوان ص ٢٨٢

(٣٢) دوان ص ٢٨٢

(٣٤) كتاب بها كافات كيتا

(٣٥) كتاب مورس وليمس المدعو « دين الهنود » ص ٢١٥

٣١ ــ ويقولون عن يسوع المسيح : انه الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدى

٣٢ ــ يسوع الألف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء

٣٣ ــ لما كان يسوع على الأرض كان يحارب الأرواح الشريرة غير مبال الأخطار التى كانت تكتنفه وكان ينشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات ، كاحياء الميت وشفاء الأبرص والأصم والأخرس والأعمى والمريض ، ونصرة الضعيف، على القوى والمظلوم على ظالمه وكان الناس يزدحمون عليه ويعدونه الها

٣٤ ــ كان يسوع يحب تلميذه يوحنا أكثر من بقية التلاميذ

٣٥ ــ وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا اخاه وصعد بهم الى جبل عال منفردين وتغيرت

(٣١) انجيل يوحنا الاصحاح الأول من عدد ١ ، ٣ ورسالة كورنسوس الأولى افسس الاصحاح الثالث العدد ٩

(٣٢) سفر الرؤية الاصحاح الأول العدد ٨

(٣٣) انظر الانجيل والرسائل ترى كثيرا من هذا الذى ذكرناه

(٣٤) انجيل يوحنا الاصحاح ١٣ العدد ٢٣

(٣٥) انجيل متى الاصحاح ١٧ من عدد ١ الى ٩

أرجونا رأسه تذللا ومهابة وتكتف تواضعا وقال باحترام : الآن رأيت ثانية حقيقتك كما أنت وأنى أرجو رحمتك يا رب الأرباب فعد واظهر فى ناسوتك ثانية أنت المحيط بالملكوت

٣٦ — وكان كرشنة خير الناس خلقا وخلقا وعلما باخلاص ونصح هو الطاهر العفيف مثال الانسانية وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل البرهميين وهو الكاهن العظيم برهما وهو العزيز القادر ظهر لنا بالناسوت

٣٧ — كرشنة هو برهما العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سر من أسراره العجيبة الالهية

٣٨ — كرشنة الأقنوم الثانى من الثالوث المقدس عند الهنود الوثنيين القائلين بألوهيته

٣٩ — وأمر كرشنة كل من يطلب الايمان باخلاص أن يترك أملاكه وكافة ما يشتهيه ويحبه من مجد هذا العالم

---

(٣٦) المرجع السابق ص ١٤٤

(٣٧) فشنوبورانا ص ٤٩٢ عند شرح حاشية عدد ٣

(٣٨) كتاب مورس وليمس المدعو العقائد

(٣٩) ديانة الهنود الوثنية ص ٢١١

هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالثلج وفيما هو يتكلم اذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائل هذا هو ابن الحبيب الذى سررت له اسمعوا ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا

٣٦ — كان يسوع خير الناس خلقا وعلما باخلاص وهو الطاهر العفيف مكمل الانسانية ومثالها وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل التلاميذ وهو الكاهن العظيم القادر ظهر لنا بالناسوت

٣٧ — يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره فى الناسوت سر من أسراره العظيمة الالهية

٣٨ — يسوع الأقنوم الثانى من الثالوث المقدس عند النصارى

٣٩ — وأمر يسوع كل من يطلب الايمان باخلاص أن يفعل كما يأتى وأما أنت فمتى صليت فادخل الى

---

(٣٦) انجيل يوحنا الاصحاح ١٣

(٣٧) رسالة ثيموثاوس الأول الاصلاح الثالث

(٣٨) أنظر كافة كتبهم الدينية وكذلك الأناجيل والرسائل

(٣٩) انجيل متى الاصحاح ٦ عدد ٦

ويذهب الى مكان خال من الناس ويجعل تصوره فى الله فقط

٤٠ ــ وقال كرشنة لتلميذه الحبيب أرجونا أنه مهما عملت أعطيت الفقير ومهما أكلت ومهما قربت من قربان مهما فعلت من الأفعال المقدسة فليكن جميعه باخلاص لى أنا الحكيم والعليم ليس لى ابتداء وأنا الحاكم المسيطر والحافظ

٤١ ــ قال كرشنة أنا علة وجود الكائنات فى كانت وفى تحل وعلى جميع ما فى الكون يتكل وفى يتعلق كاللؤلؤ المنظوم فى خيط

٤٢ ــ وقال كرشنة أنا النور الكائن فى الشمس والقمر وأنا النور الكائن فى اللهب وأنا نور كل ما يضىء ونور الأنوار ليس فى ظلمة

٤٣ ــ قال كرشنة أنا الحافظ للعالم وربه وملجؤه وطريقه

---

(٤٠) مورس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١١

(٤١) مورس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١٢

(٤٢) كتاب موريس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١٣

(٤٣) دوان صفحة ٢٨٣

مخدعك وأغلق بابك وصل الى أبيك الذى فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية

٤٠ ــ فاذا كنتم تأكلون و تشربون أو تفعلون شيئا فافعلوا كل شىء لمجد الله

٤١ ــ من يسوع وفى يسوع وليسوع كل شىء « كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان »

٤٢ ــ ثم كلمهم يسوع قائلا أنا هو نور العالم من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة

٤٣ ــ قال يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتى الآب الا بى

---

(٤٠) رسالة كورنثوس الأولى الاصحاح العاشر من عدد ١ : ٣

(٤١) انجيل يوحنا الاصحاح الأول من عدد ٣١

(٤٢) انجيل يوحنا الاصحاح ٨ العدد ١٢

(٤٣) انجيل يوحنا الاصحاح الرابع عشر عدد ٦

٤٤ ــ وقال كرشنة « أنا صلاح الصالح وأنا الابتداء والوسط والأخير والأبدى وخالق كل شىء وأنا فناؤه ومهلكه »

٤٤ ــ وقــال يسوع أنا هو الأول والآخر ولى مفاتيح الهاوية والموت

٤٥ ــ وقال كرشنة لتلميذه الحبيب لا تحزن يا أرجونا من كثرة ذنوبك أنا أخلصك منها فقط تثق بى وتتوكل على واعبدنى واسجد لى ولا تتصور أحدا سواى لأنك هكذا تأتى الى المسكن العظيم الذى لا حاجة فيه لضوء الشمس والقمر اللذين نورهما منى

٤٥ ــ وقال يسوع للمفلوج ثق يابنى مغفورة لك خطاياك يابنى أعطنى قلبك والمدينة لا تحتاج الى شمس ولا الى قمر ليضيئا فيها الحروف سراجها

---

(٤٤) كتــاب موريس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١٣

(٤٥) كتاب موريس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١٣

(٤٤) رؤيا يوحنا الاصحاح الأول من عدد ١٧ ــ ١٨

(٤٥) انجيل متى الاصحاح ٩ عدد ٢ وسفر الأمثال الاصحاح ٢٣ عــدد ٢٦ وسفر الرؤيا الاصحاح ١٢ عــدد ٢٣

٩ ــ النفس ، خلودها ، وتناسخ الأرواح :

النفس فى نظر البراهمة جوهر خالد صاف عالم مدرك تام العلم والادراك ما دام منفصلا عن الجسد ، فاذا فاض على الجسد واتصل به اعتكر صفاؤه ، ونقص علمه ، ولذا يقول باسديو كما نقل البيرونى « اذا تجردت النفس عن المادة كانت عالمة ، فاذا تلبست بهـا كانت بكدورتها جاهلة ، وظنت أنهـا الفاعلة ، وأن أعمال الدنيا معدة لأجلها ، فتمسكت بها ، وانطبعت المحسوسات فيها فاذا فارقت البـدن كانت آثار المحسوسات باقيـة ، فلم تنفصـل عنها بالتمام ، وحنت اليها وعادت نحوها » .

وهذه النظرية التى تقرر أن النفس عالمة قبل اتصـالها بالجسم تقارب نظرية أفلاطون فى المثل العليا فى النفس ، وربما كانت أصلا لها ، فالعلم لا يقع فى قبضة أحد ، بل هو يتنقل فى البلاد والأمم تنتقل الرياح والأمطار فيها ، لا تقف دونه الحاجزات ، ولا تسد الطريق عليه سدود من حدود وحصون .

١٠ ــ والنفس عندهم خالدة باقية لا يعروها الفناء . ولا يتطرق اليهـا البلى ، ولقد صرحت بذلك كتبهم ، وهذا ما نقله البيرونى يشهد بما نقول : قال باسديو لأرجن يحرضه على القتال ، وهما بين الصفين : « ان كنت بالقضاء السابق مؤمنا فاعلم أنهم ليسوا ، ولا نحن بموتى ولا ذاهبين ذهابا لا رجوع معه ، فان الأرواح غير مائتة ولا متغيرة ، وانما تتردد فى الأبدان على تغاير الانسان من الطفولة الى الشباب والكهولة ، ثم الشيخوخة التى عقباها موت البدن ، ثم العودة له » . وقال له أيضا : « كيف يذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود لا عن ولادة ، ولا الى تلف وعدم ، بل هى ثابتة قائمة ، لا سيف يقطعها ، ولا نار تحرقها ، ولا ماء يغصها ، ولا ريح توبسها ، لكنها تنتقل من بدنها نحو آخر كما يستبدل البدن اللبـاس اذا خلق ، فمـا عملك لنفس لا تريد » .

١١ ــ ومن هذا النص يفهم أن عقيدتهم فى النفس أنها لا تريد ، وأنها تنتقل من جسم الى جسم ومن ذلك جاء اعتقادهم فى تناسخ الأرواح ، وهو الطابع الذى امتازت به الديانة البرهمية ، حتى لقـد قال فى ذلك البيرونى : « كما أن الشهادة بكلمة الاخلاص شـعار ايمـان المسلمين ، والتثليث علامة

النصرانية ، والاسـبات علامة اليهودية ، كذلك التناسخ علم النحلة الهنـدية من لم ينتحله لم يك منها » •

وقد قامت عقيدة التناسخ عندهم على دعائم ثلاث :

(الدعامة الأولى) اعتقادهم خلود الأرواح •

(الدعامة الثانية) اعتقادهم أن الروح بعد مزاولة الجسـم تكون فى حنان دافع الى الأجسام ، لمـا انطبع فيها من المحسوسات ، وأثر فيهـا من المـاديات ، وان كل ذلك التأثير قد عكر صفاءها ، وكدر نقاءها •

(الدعامة الثالثة) أن النفس فى بقائها فى الجسم تحيط علما بالجزئيات وان كان علمها بالصورة الكلية ثابتا لها ، وهى فى تنقلها من جسم الى جسم تستفيد من كل جسم علما جديدا بجزئيات لم تكن تعلمها ، فليس من المعقول أن تحيط بكل الجزئيـات علما ببقـائها أمدا قصـيرا فى جسم واحد ، ولذلك « احتاجت الى تتبع الجزئيات واستقراء الممكنات ، وهى وان كانت متناهيـة عددها كثير والاتيان على الكثرة واحصاؤها علم يحتاج الى فسحة فى الأمد ، ولذلك لا يحصل ذلك العلم للنفس الا بمشاهدة الأشخاص والأنواع وما يتناوبها من الأفعـال والأحوال ، حتى يحصل لها فى كل واحد تجربة ، وتستفيد بها جديدا فى المعرفة »(١) •

لهذا كله كانت الأرواح تنتقل فى الأجسام ، وتنتقل متدرجة فى الرقى من جسم الى جسم حتى تصل الى الكمال المطلق ، وتكون فى صف الروحانيات المتجـردة : وهى المـلائكة وتكون غـير محجوبة عن التصرف فى السـموات والأرض ، وتدبير الكون •

واذا كانت الروح قد ارتكبت خطايا فى أثناء حلولها فى أحد الأجسـام أركست فى حيوان دون الذى كانت فيـه لتكفر عن خطيئـاتها ، وتطهر من سيئاتها ، ثم تسير قدما الى الرقى ، لا يعوقها عن بلوغ أوجه الا خطايا تتأثم بها ، ثم تتطهر • وتستمر كذلك حتى تصل الى الملكوت الأعلى مع الملائكة فى أعلى عليين ، وتتجرد من الغلاف الجسمى ، وقد يكون تدرجها الى أدنى ، فتهوى الى جهنم على حسب الأقوال عندهم •

---

(١) ما للهند من مقولة — البيرونى •

ولعقيدة التناسخ ، التى استولت على الفكر الهندى وأثرت فيه ــ كانوا يعتقدون أن الروح الواحدة تحل فى عدة من الأجسام ، وأن الشخص قد تكون روحه قد حلت فى مئات الأجسام قبله ، يحكى البيرونى عن ملك من ملوكهم « أنه رسم لقومه أن يحرقوا جثته بعد موته فى موضع لم يحرق فيه ميت قط ، وأنهم طلبوا موضعا كذلك ، فأعياهم ، حتى وجدوا صخرة من البحر ناتئة ، فظنوا أنهم ظفروا بالبغية ، فقال لهم باسديو : ان هذا الملك أحرق على هذه الصخرة مرات كثيرة فافعلوا ما تريدون ، فانما قصد اعلامهم وقد قضيت حاجته » .

١٢ ــ نظام الطبقات فى الديانة الهندية :

الناس فى نظر الديانة البرهمية ليسوا سواء ، لا من حيث العبادة أو الزهادة أو طلب الزلفى ، بل هم مختلفون من حيث الطبقات والأعمال وما يمتهنون من مهن ، فقد قسم الناس فيها من حيث مهنهم وأصولهم وأنسابهم الى أربع طبقات :

الطبقة الأولى : وهى أسماها طبقة البراهمة ، وهم رجال الدين الذين يبينون أحكامه ، ويذكرون قضاياه ، ويزعمون أنهم خلقوا من رأس الاله براهما ، ولذلك كانوا أعلى الناس وخلاصة الجنس البشرى ، وعقله المفكر ورأسه المدبر ، وذلك لأن الرأس فى الجسم عنوان ذلك كله ، فهو علاوة الجسم ، وموضع التدبير فيه .

والطبقة الثانية : طبقة الجند ويسميهم البيرونى كشتر ، ويزعمون أنهم خلقوا من مناكب براهما ويديه ، وهم لهذا الحماة والغزاة والقوة ، ومرتبتهم دون مرتبة البراهمة وهى المرتبة التى تليها .

والطبقة الثالثة : طبقة الزراع والتجار ، وهم مخلوقون من ركبتى الاله براهما فى زعمهم ، وتسمى (بيش) والمسافة بينهم وبين الطبقة التى تسبقهم كبيرة جدا ، وقريبة من الطبقة التى تليهم .

الطبقة الرابعة : وهى طبقة الخدم والأسارى ، وهؤلاء خلقوا فيما يزعمون من قدمى الاله « براهما » وتسمى (شودر) .

١٣ — ولكل طبقة من هذه الطبقات آداب خاصة تتحلى بها ، فيجب على البرهمى أن يكون وافر العقل ، ساكن القلب ، صادق اللهجة ، ظاهر الاحتمال ضابطا للحواس ، مؤثرا للعدل ، بادى النظافة ، مقبلا على العبادة ، مصروف الهمة الى الديانة •

ويجب أن يكون (الجندى كشتر) « مهيبا شجاعا معظما ذلق اللسان سمح اليد ، غير مبال بالشدائد ، حريصا على تيسير الخطوب » •

ويجب أن يكون الزراع والتجار مشتغلين بالزراعة ويراعوا العناية بالسوائم والقيام بشئون التجارة ، وما تقتضيه من معرفة بشئون الأسواق وما تقتضيه من صفق فى البياعات وتمرس بشئونها وتتبع لها •

ويجب أن يكون الخدم والأسارى مجتهدين فى الخدمة والتملق الى الناس والتحبب اليهم ، لأن ذلك أليق الآداب بهم وهو الذى يتفق مع عملهم •

ويقول البيرونى بعد بيان الآداب الواجبة لكل طبقة : « وكل من هؤلاء اذا ثبت على رسمه وعادته نال الخير فى ارادته اذا كان غير مقصر فى عبادة الله ، غير ناس ذكره فى جل أعماله ، واذا انتقل عما عهد اليه الى ما عهد الى طبقة أخرى ، وان شرفت عليه كان آثما بالتعدى فى الأمر » •

١٤ — وعلى ذلك تكون كل طبقة ليس لها أن تعدو حالها الى حال طبقة أخرى ، فالزراع لا يصح أن يكونوا من التجار ، والجند لا يرتقون الى درجة الكهنة ، وهكذا • وكل طبقة تنتقل حالها الى الأعقاب والأخلاف ، فالطبقة تورث من الشخص الى غيره من عقبه •

ويظهر أن التقسيم الأول عند الفتح كان ملاحظا فيه الجنسية ، فهو تقسيم جنسى أكثر منه تقسيما للعمل ، ولذلك يقول البيرونى : انهم يسمون طبقاتهم « برن » ومعناها الألوان ، ويسمونها أيضا (جاتك) ومعناها المواليد ، فالأصل اذن فى الطبقات تقسيم جنسى ، وتنتقل الى الأعقاب بالولادة ، والأنساب •

وهناك دون هذه الطبقات الأربع : المحرومون ، وأبناء الزنى ، والذين يتناولون الأعمال القذرة فى المدن ، والأعمال الحقيرة ، ويسمون من ليسوا من الهند « امليج » ومعناها أنجاس •

والمحرومون وأبناء الزنى والأنجاس فى طبقة دون الطبقات الأربع جميعا، ولا يتسامون أبدا الى واحدة منها ، ويعتبرون هم والطبقة الرابعة منبوذين •

١٥ — هذا • وكل طبقة ليس لها أن تتناول من أبواب العبادة ما يتناوله الآخر ، فللبرهمى عبادته الخاصة به وطرقه •

بل ان البرهمى له باعتبار السن أحوال أربع ، ولكل سن حال خاصة بها ؛ فالدرجة الأولى درجة التلمذة التى يتلقى فيها علوم البراهمة ويأخذه أستاذه ببعض آدابهم ، الدرجة الثانية أن يكون رب أسرة ، وتبتدىء من الخامسة والعشرين ، وفيها يعنى بتكوين بيت له ، ويختار له زوجا من طبقته ، والدرجة الثالثة درجة النسك والعبادة يهيم فيها فى الغابات والأحراش ، وينال فيها من ثمر الأشجار وبعض الأعشاب ، ومتى جاز هذه الدرجة بنجاح تام وبلغ سنها المعينة انتقل الى أسمى الدرجات ، وهى درجة الفقير ، فيخرج من حكم الجسد ، وتحكم فيه الروح فقط ويقرب من الآلهة •

١٦ — وهنا يثار نظر الناس فى المنزلة الدينية أهى كذلك ؟ أم تلك المنازل دنيوية أقرها الدين لتنظيم المجتمع فى الدنيا ، وهم أمام الدين فى الخلاص سواء ؟ مما لا شك فيه أن تلك المنازل لها أثرها الدينى فى المعاملة فى الدنيا ، فالبرهمى له أن يقرأ كتبهم المقدسة ، ويتعلمها ويعلمها للناس ، والمحاربون لهم فقط أن يقرءوها ويتعلموها ، وليس لهم أن يعلموها ، فذلك ليس من عملهم فى شىء ، لأنهم خصصوا للجهاد والدفاع ، والزراع والتجار والخدم ليس لهم أن يقرءوا كتبهم ولا أن يتعلموها ، بل ان ثبت أنهم فعلوا شيئا من ذلك رفعت البراهمة الأمر الى الوالى فقطع لسان من فعل •

وأما كل أعمال البرغير ما ذكرنا ، وغير تقديم قرابين النار ، فهو غير ممنوع عن طبقة من الطبقات •

وقد اختلفت عباراتهم فى الخلاص الذى هو أعلى الدرجات ثوابا : أهو خاص بالبراهمة والفقراء أم يعم الجميع ؟ فبعضهم يمنع من الخلاص الطبقتين السفليتين ، ولكن الأكثرين على أن الخلاص ثواب الجميع ، ولقد قال باسديو فى طلب الخلاص : « ان العقل قد سوى عنده البرهمى وجندال[1] والصديق والعدو، والأمين والخائن ، بل الحية وابن عرس ؛ فان كان العقل هو الذى سوى فالجهل هو الذى فصل وفضل » •

---

(١) طبقة من أدنى طبقات الطبقة الرابعة .

١٧ — **الحياة الآخرة :** من عادات الهنود الدينية أن أجسام أكابرهم تحرق بعد الموت ، وذلك لأن النار فى اشتعالها تعلو شعلتها الى أعلى بخط عمودى على أفق الأرض ، والعمود أقرب المستقيمات بين السطوح والخطوط ، ولذا تتجه الروح بهذا الاحتراق الى أعلى ، سائرة باتجاه عمودى ، فتصعد الى السماء فى الملكوت الأعلى فى أقرب زمن • هذا سبب من أسباب حرق أجسام كبرائهم بعد موتهم • وهناك سـبب آخر ، هو أن فى الاحتراق تخليصـا للروح من غلاف الجسم تخليصا تاما ، وذلك أن فى الجسم نقطة بها يكون الانسان ، وهى متأشبة بالجسم متصلة به ، فلا تخلص منـه الا باحتراق أمشاجه وصيرورتها ذرات صغيرة بالاحتراق ، فعندئذ تتخلص تلك النقطة وهى معنى الانسان ، وبتخلصها تتخلص الروح من الجسم ، وتعلو عنـه لتتصل بجسم آخر أو لتسمو الى درجة الملائكة ، ان كانت قد وصلت الى درجة الخلاص •

١٨ — واذا تخلصت الروح من الجسم كان أمامها ثلاثة عوالم : أولهـا العالم الأعلى ، وهو الملائكة ، تصعد اليه الروح ان كانت بعملها تستأهل الصعود اليه ، والخلاص من الجسم ، والسمو الى الملكوت الأعلى ، والعالم الثانى عالم الناس ، وهو عالمنا الحاضر معشر الآدميين ، والنفس تعود اليه بالحلول فى جسم انسانى آخر لتكتسب عمل خير ، ولتجتنب عمل شر ، اذا كانت أعمالها فى الجسم الأول لا ترفعها الى مراتب التقديس فى أعلى عليين ، ولا تنزل بها الى أسفل سافلين فى العـالم الثالث وهو عالم جهنم ، وهذا العـالم يكون لمرتكبى الخطايا الواقعين فى الذنوب ، وليس هناك جهنم واحدة ، بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بهم ، فالمدعون على غيرهم حقوقا كاذبة وشهود الزور لهم جهنم خاصة بهم ، وسافك الدم وغاصب حقوق الناس والمغير عليهم وقاتل البقر لهم جهنم خاصة بهم ، وقاتل البرهمى وسارق الذهب ومن صحب الأمراء الذين لا ينظرون الى رعاياهم لهم جهنم خاصة ، والذى يرد قول أستاذه ولا يرضاه ، ويستخف بالناس ويستهين بالكتب المقدسة أو يكتسب بها فى الأسواق لهم جهنم أيضا خاصة ، وهكذا لكل صنف من الآثمين جهنم بمقدار يتناسب مع ذنبهم ، ومقدار ما فيهم من فسوق عن الدين وخروج من حظيرته •

ثم هل جهنم دائمة وكذلك الجنة ؟ منهم من يرى أن الجنة نزلها دائم ، وأن الجحيم كذلك ، وأنها للجنة أبدا أو الجحيم أبدا ، على مقدار ما قـدم الشخص من عمل ، فان كان العمل فى الحياة لا يرفع الى الجنة ولا ينزل الى الجحيم أعيدت الروح الى جسم آخر ، لتعمل ما يعليها أو يرديها •

ومنهم من يرى أن طريق الاكتساب هى الانسانية وحدها ، وأن التردد فيها مكافأة قاصرة عن درجة الثواب والعقاب الأخروى ، أما الجنة فانهـا فى علوها تكون للنعيم الذى يستحقه من قدم عملا حسنا ، ويكون البقاء فيها الى أمد محدود ، واذا كان العمل الانسانى اثما وخطيئة ترددت روح الشخص فى الحيوان والنبات وعقابا لها على ما اجترحت من سيئات وقدمت من خطايا ، وبقيت فى ذلك أبدا حتى تتطهر مما اجترحت ، وليست جهنم الا هذا التردى عنـد هؤلاء فالجنة والجحيم ليستا أبديتين عند هؤلاء ، بل هما مؤقتان بهذا التأقيت بعدها تصعد الروح درجة الى العالم العلوى أو تنزل الى المرتبة الانسانية .

وكلا الرأيين يسـير على مناهج تناسخ الأرواح ، وان اختلفت أنظارهم فيه ، ومهما يكن من خلاف فى هذا المقام فالمتفق عليه أن البعث فى العالم الأخروى انما هو للأرواح لا للأجساد . فالروح اما فى روح أو ريحان ، واما فى شـقوة وجحيم على نحو ما بينا .

١٩ — **كتبهم :** أقدم كتبهم الفيدا ، ولم يعرف المؤرخون عصر كتابتها على وجه التحقيق والضبط ، وأقصى ما تأكد لديهم أن الفيـدا كانت موجودة قبل خمسة عشر قرنا . فقد كانت مع الفاتحين الآريين على أنها من أصول ديانتهم والفيدا مجموعة من الأشعار ليس فى كلام الناس ما يماثلها فى زعمهم ، ويقول جماهيرهم ان البشر يعجزون عن أن يأتوا بأمثالهـا . ويقول البيرونى : ان خاصتهم يقولون ان فى مقدورهم أن يأتوا بمثلها ، ولكنهم ممنوعون من ذلك احتراما لها . ولم يبين لنا البيرونى وجه المنع ، أهو منع بمعنى التحريم ، بمعنى أن فى استطاعتهم أن يتجهوا الى الاتيان بمثلها وأن يأتوا بالفعل ، ولكنهم كلفوا ألا يأتوا فهم ممتنعون اجابة لهذا التكليف ؟ أم أن هذا المنع انما هو صرف لهم عن أن يأتوا بمثلها فهم فى قدرهم أن يأتوا ولكنهم صرفوا عن ذلك . كمـا يقول بعض الجهلاء فى اعجاز القرآن الكريم ، فان من الناس من يزعم جهلا بالقرآن أو الحادا فيه أن العرب كان فى استطاعتهم أن يأتوا بمثل القرآن ، ولكن الله سبحانه وتعـالى قد صرفهم عن ذلك صرفا ، فاعجازه ليس لما فيـه ولكن لأن الله سبحانه أعجز القدر عن الاتيان بمثله(١) . لم يبين لنا البيرونى أى الوجهين أراد بالمنع ، لئن أراد الأول لا يمنع ألا يوجد ما يماثلها ، لأنه عسى أن يكون ممن

---

(١) وقد أشبع عبد القاهر والباقلانى وغيرهم من كبار الكتاب فى القرون الغابرة أصحاب تلك النحلة الباطلة نقدا وردا مما لا يترك مقالا لقائل .

يعصون التكليف من يأتى بأمثالها بل يضيف اليها ، لأن الناس ليسوا معصومين من المخالفة • وما أظن أحدا من البراهمة يعتقد جواز وجود أمثـالها ، لذلك نرجح أن يكون المراد هو الثانى لا الأول •

والفيدا أربع مجموعات لكل واحدة منها نهج خاص فى القراءة وتلحين خاص فى الالقاء ، ومواضع لا يتلى فيها غيرها ، ولا يرتل فيها سوى نوع خاص من بينها • وأولها نوع يقال له « الرجفيدا » وعلى حد تعبير البيرونى « الركبذ » وله ثلاثة مناهج للتلاوة ، ويرتل عند تقديم قرابين النار • وثانيها ويقـال له « الياجورفيدا » ويسميه البيرونى « جزربيذ » والفرق بينه وبين الأول فى النغم والتلحين ، وان كان مثله يقال عند تقديم القرابين • وثالثهـا « السامافيدا » ويسميه البيرونى « سام بيذ » وله نغم أيضا خاص به ويرتل عند صنع الشراب المقدس وتناوله • ورابعها « الأثارفيد » ويسميه البيرونى « أثر بيذ » ويتلى عند السحر والتعاويذ وله لحن خاص به •

ويحكون لكل مجموعة من هذه الأشـعار أسطورة كانت سببا لتنزيله كما يزعمون ، وترتيل هذه القصائد لا يصح من غير البراهمة والغزاة على ما سبق •

٢٠ ــ ولهم كتب غير هذه تسمى البرهميات ويسميها البيرونى «البيرانات» وهى كتب من منثور القول لا من منظومه كالفيدا وهى أقسام كثيرة ، وموضوعاتها مختلفة • فمنها ما فيه أحكام شريعتهم وفقه ملتهم من حث على الخلاص ، وترغيب فى فداء الروح بالجسم وغير ذلك • ومنها ما هو خاص بالمطالعات التى يطالعها النسـاك الذين ينسابون فى الأحراش ويرغبون فى التخلص بالفعل من المادة ، لينعموا بحرية الروح ، فيطالعون تلك الكتب لتقوى عزائمهم ويستحفظونها ليعطوا العلم الباطنى بالروح الأكبر • وترتبط نفوسهم بالموجود الأعظم • ومنها كتب فى أصول عقائدهم قد ذكرت فيها نشأة العالم وكيف نشأ ثم كيف ظهرت آلهتهم التى يزعمونهـا ، وكيف وجدت المخلوقات وكيف وجد الانسان وكيف كانت خواصه ، وكيف تكون المعرفة وغير ذلك من المعلومات التى تتصل بآلهتهم وبالانسان ونفسه وعلاقته بالآلهة والكون •

هـذه لمامة موجزة نرجو أن تكون موضحة للديانة البرهميـة ، ونظمها وكتبها ، ونشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأن الدين عند الله الاسـلام •

البــــوذية

١ ـ نشأت الديانة البوذية بالهند كما حلت البرهمية فيها ، وقد كان منشئها برهميا ، وهى فى الواقع تخفيف لما جاء فى البرهميـة من تعـاليم وازالة لما أحدثته البرهمية من تفريق بين الناس يتوارث بينهم خلفا عن سـلف ، فلا يمحوه كر الغداة ومر العشى ، بل ينتقل بالوراثة كما ينتقل الدم ، ويولد مع الشخص ويلازمه وهو فى المهد •

ومنشىء تلك الديانة هو « بوذا » واسمه سـداتنا واسم أسرته جوتاما وأحيانا يطلق عليه اسم أسرته • أما بوذا فلقب له ومعناه العالم •

ويلقب أيضا بسكيامونى ومعناه المعتكف من أسرة سكيا •

ولد بوذا قبل المسيح بنحو ٥٦٠ سنة فى بلدة على حدود نيبال • وكان من أسرة نبيلة وفيها امارة وكان هو أميرا • وقد شب مترفا فى النعيم فاكها فى الثروة ، وتزوج فى التاسعة عشرة من عمره ، وأقام أمدا فى حياة زوجية يشتار عسلها وينعم فى ظلها ، حتى اذا بلغ التاسعة والعشرين انصرف الى الزهـد والتأمل وهجر زوجه وخرج هائما فى الأحراش والغابات راغبا عن الدنيا تاركا ملاذها • غير معنى الا بالتأملات رائضا نفسـه على خشونة الحياة وجشب العيش •

وأقام على ذلك ست سنين دأبا ، لا يضـعف ولا ينى ، حتى اذا بلغ السادسة والثلاثين من عمره أحس بأن نوعا من المعرفة قد أشرق فى نفسه ، وقذف بنور فى قلبه وصارت تلك الحال التى أخذ نفسه بها مذهبا يجب أن يدعو اليه بقوله ، ولم يبال بعقبات تكأد طريقه ، ولا بصعوبات تدعثر سبيله ، فالتف به شيب وشباب ، وصار له تلاميذ يدعون بدعايته ، وانبعثوا فى الآفاق دعاة مرشدين، واستمر عددهم ينمو وخبرهم يذيع ، ومذهبهم فى الحياة ينتشر ، وبوذا من ورائهم ومعهم لا يكل ولا يمل ، حتى مات فى الثمانين من عمره • فكان مدة دعايته مكثت على ذلك أربعا وأربعين سنة أو تزيد ، وفيهـا نما المذهب وزاد أنصاره وكثروا وانسابوا فى البلاد دعاة بالقول والعمل • ولم يكن بوذا معنيا بتأليف الكتب بل كان معنيا بكثرة الوصايا والارشاد العملى •

٢ ــ حياة ساذجة لا تعقد فيها ولا تزيد ، ولكن يأبى الذين جاءوا من بعده الا أن يحوطوها بشتى الأساطير ، أوحت بها الأوهام ، ودفعت اليهـا أخيلة خصبة ، فقد زعموا أن أمه بشرت به فى المنام ، وأن ولادته سبقتها معجزات ، وأن الاله حل فيه ، وأن حياته كلها قد أحيطت بالمعجزات ، وهكذا من الأوصاف التى انتهوا بها الى أنه هو المنقذ المعزى ، والذى قدم نفسه فداء للخليقة من الخطايا • وقد كثرت هذه الأوهام عنـد البوذيين الذين يسكنون فى التبت فى الشمال ، أما أهل الجنوب [1] • وهم يبلغون نحو أربعمائة مليـون فلم ترج كثيرا بينهم هذه الخرافات ، وتلك الأوهام • ومن الغريب أن الأوهام التى جعلها بوذيو التبت أوصافا لبوذا تتوافق مع ما ينحله المسيحيون شخصية المسيح بعد تغيير النصرانية ، وها هى ذى بعض المقابلات بينهما لتعرف وجه التطابق[2] •

---

(١) يلاحظ ان البوذية نشأت بالهند وأكثر معتنقيها فى الصين واليابان •
(٢) منقولة من كتاب « العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية » •

أقوال الهنود الوثنيين فى بوذا ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين فى المسيح ابن الله
١ ـ كان تجسيد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا	١ ـ كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم
٢ ـ لما نزل بوذا من مقعد الأرواح ودخل فى جسد العذراء مايا صار رحمها كالبللور الشفاف النقى وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة	٢ ـ لما نزل يسوع من مقعده السماوى ودخل فى جسد مريم العذراء صار رحمها كالبللور الشفاف النقى وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة
٣ ـ وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر فى أفق السماء ويدعونه « نجم بوذا »	٣ ـ وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر فى المشرق وقال دوان : من الواجبات أن يدعى « نجم المسيح »
٤ ـ لما ولد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد للمولود المبارك قائلين : ولد اليوم بوذا على الأرض كى يعطى الناس المسرات والسلام ويرسل النور الى المحلات المظلمة ويهب بصرا للعمى	٤ ـ لما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء والأرض ورتلوا الأناشيد حمدا للواحد المبارك قائلين المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة
٥ ـ وعرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى حياه الناس ودعوه الها	٥ ـ وقد زار الحكماء يسوع وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى دعوه اله الآلهة
٦ ـ وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة	٦ ـ وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر

(٥) دوان ص ٢٩٠

(٦) دوان ص ٢٩٠

(٥) انجيل متى الاصحاح الثانى من عدد ١ الى ١١

(٦) انجيل متى من الاصحاح ٢ عدد ١١

٧ ــ لما كان بوذا طفلا قال لأمه مايا انه أعظم الناس جميعا

٨ ــ كان بوذا ولدا مخيفا وقد سعى الملك بميسارا وراء قتله لما أخبروه أن هذا الغــلام سينزع الملك من يده ان ان بقى حيا

٩ ــ لما أرسل بوذا الى المدرســة أدهش الأســاتذة مع أنه لم يدرس من قبــل وفاق الجميــع فى الكتــابة والرياضيات والعلوم العقلية والهندسية والتنجيم والكهانة والعرافة

١٠ ــ لما صار عمر بوذا اثنتى عشرة ســنة دخل الهياكل وصــار يسأل أهل العلم مسائل عويصــة ثم يوضحها لهم حتى فاق كافة مناظريه

١١ ــ ودخل بوذا مرة أحد الهياكل فقامت الأصــنام من أماكنها وتمددت عند رجليه سجودا له

٧ ــ لما كان يسوع طفــلا قال لأمه مريم (أنا ابن الله)

٨ ــ كان يسوع ولدا مخيفا سعو الملك هيرودوس وراء قتــله كيلا ينزع الملك من يده

٩ ــ لما أرسل يسوع الى المدرســة أدهش أستاذه ذاخيوس وقال لأبيــه يوسف « لقد أتيتنى بولد لأعلمه مع أنه أعلم من كل معلم »

١٠ ــ لما صــار عمر يسوع اثنتى عشرة ســنة جاءوا به الى أورشــليم وصار يسأل الأحبــار والعلماء مسائل مهمة ثم يوضحها لهم وأدهش الجميع

١١ ــ وكان يسوع مارا قرب حاملى الأعــلام فأحنت الأعــلام رؤوســها سجودا له

---

(٧) كتاب هردى المدعو العقــائد البوذية ص ١٤٥ ، ١٤٦

(٨) كتاب تاريخ البوذية تأليف نيل ص ١٠٣ ، ١٠٤

(٩) كتــاب هردى « العقــائد البوذية » وتاريخ الديانة البوذية لنيل

(١٠) بنصن « الملاك المســيح » ص ٣٧

(١١) بنصن « الملاك المسيح » ٦٧ الى ٦٩

(٧) انجيل الطفوليــة الاصحاح ١ عدد ٣

(٨) انجيل متى الاصحاح الثــانى العدد الأول

(٩) انجيل الطفوليــة الاصحاح ٢٠ عدد وانجيل لوقا

(١٠) انجيل الطفولية الاصحاح ٢١ عدد ٢١

(١١) انجيل نيكوديموس الاصحاح الأول العدد ٢٠

١٢ — ويصلون نسب كوتاما بوذا من أبيه « صدودانا » فى أناس كلهم من سلالة ملوكانية الى ماها سماطا وهو على زعمهم أول ملك صار فى الدنيا . والحوادث والأنساب المذكورة فى كتاب « بيوراز » البرهمى وتجد فى أنسابه غير أنه لا يمكن تحقيق الحوادث ونسبتها مع غيرها وسبب ذلك هو أن مؤرخى البوذية اخترعوا فيها أسماء تمكنهم من أعلاء نسب حكيمهم فوق اعتبارهم اياه الها

١٣ — لما عزم بوذا على السياحة بقصد التعبد والتنسك وظهر عليه « مارا » أى الشيطان ، كى يجربه

١٤ — وقال مارا « الشيطان » لبوذا لا تصرف حياتك فى الأعمال الدينية لأنك بمدة سبعة أيام تصير ملك الدنيا

١٥ — فلم يعبأ بوذا بكلام الشيطان بل مال له اذهب عنى

١٦ — ولما ترك مارا « اى الشيطان » تجربة بوذا أمطرت السماء زهرا وطيبا ملأ الهواء طيب عرفه

---

(١٢) دوان ص ٢٩١
(١٣) دوان ص ٢٩٢
(١٤) دوان ص ٢٩٢
(١٥) دوان ص ٢٩٢
(١٦) دوان ص ٢٩٢

١٢ — ويعدون سلالة يسوع من أبيه يوسف فى أشخاص مختلفين وكلهم من سلالة ملوكانية الى آدم أبى البشر وكثير من الأسماء والحوادث المذكورة فى سلالته مذكورة فى التوراة كتاب اليهود

١٣ — لما شرع يسوع فى التبشير ظهر له الشيطان كى يجربه

١٤ — وقال « أى ابليس » له (أى يسوع) أعطيك هذه « أى الدنيا » جميعها ان خررت وسجدت لى

١٥ — فأجابه المسيح وقال اذهب يا شيطان

١٦ — ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه

---

(١٣) انجيل متى الاصحاح ١٤ عدد ١ : ٨
(١٤) انجيل متى الاصحاح ٤ من ١٠ — ١١
(١٥) انجيل لوقا الاصحاح ٤ عدد ٨
(١٦) انجيل متى الاصحاح ٤ عدد ١١

١٧ ــ وصام بوذا وقتا طويلا

١٨ ــ وقد عمد بوذا المخلص حين عمادته بالماء وكان روح الله حاضرا وهو لم يكن الالــه العظيم فقط بل وروح القدس الذى فيه صــار تجسد كوتاما لما حل على العذراء مايا

١٩ ــ ولما كان بوذا على الأرض فى أواخر أيامه بدلت هيئته وهو اذ ذاك على جبــل « بندافا » أى الأصــفر المبيض فى « سيلان » ونزل عليه بغتة نور أحاط برأســه على شــكل اكليل ويقولون ان جسده أضاء منه نور عظيم وصــار كتمثال من ذهب براق مضىء كالشمس أو كالقمر وحينئذ تحول الى ثلاثة أقســام مضــيئة وحينمــا رأى الحاضرون هذا التحول فى هيئته قالوا ما هذا بشرا ان هو الا اله عظيم

٢٠ ــ وعمــل بوذا عجائب وآيات مدهشــة لخير الناس وكافة القصص المختصــة فيــه حاوية لذكرى أعظم العجائب مما يمكن تصوره .

٢١ ــ وفى صلاتهم لبــوذا يتــأمل المؤمنون به دخول الفردوس

---

(١٧) دوان ص ٢٩٢

(١٨) كتاب الملاك المسيح ص ٤٥ تأليف بنصن

(١٩) كتاب الملاك المسيح ص ٤٥

(٢٠) دوان ص ٢٩٣

(٢١) دوان ص ٢٩٣

١٧ ــ وصام يسوع وقتا طويلا

١٨ ــ ويوحنــا عمــد يسوع بنهر الأردن وكانت روح الله حاضرة وهو لم يكن الالــه العظيم فقط بل والروح القدس الذى فيه تم تجسده عندما حل بالعذراء مريم فهو الأب والابن وروح القدس

١٩ ــ لما كان يســوع على الأرض بدلت هيئته وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصــعد بهم الى جبــل عال منفردين وتغــيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور

٢٠ ــ وعمل يسوع عجائب وآيات مدهشــة لخــير الناس وكافة القصص المختصــة فيــه حاوية لذكرى أعظم العجائب مما يمكن تصوره

٢١ ــ وفى صــلاتهم ليسوع يتأمل المؤمنون بألوهيته دخول الفردوس

---

(١٧) انجيــل متى الاصــحاح ٤ عدد ٢

(١٨) انجيــل متى الاصــحاح ٧ عدد ١ ، ٢

(٢٠) انجيل متى الاصحاح ٨ عدد ٢٨ ــ ٣٤ وغيره

(٢١) دوان ص ٢٩٣

٢٢ — لما مات بوذا ودفن انحلت الأكفان وفتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية « أى بقوة الهية »

٢٢ — لما مات يسوع ودفن انحلت الأكفان وفتح القبر بقوة الهية

٢٣ — وصعد بوذا الى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض

٢٣ — وصعد يسوع بجسده الى السماء من بعد صلبه لما كمل عمله فى الأرض

٢٤ — ولسوف يأتى بوذا مرة ثانية الى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها

٢٤ — ولسوف يأتى يسوع مرة ثانية الى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها

٢٥ — وسيدين بوذا الأموات

٢٥ — وسيدين يسوع الأموات

٢٦ — بوذا الألف والياء ليس له انتهاء وهو الكائن العظيم ، والواحد الأزلى

٢٦ — يسوع الألف والياء ليس له انتهاء وهو الكائن العظيم ، والواحد الأبدى

٢٧ — قال بوذا فلتكن الذنوب التى ارتكبت فى هذه الدنيا على ، ليخلص العالم من الخطيئة

٢٧ — يسوع هو مخلص العالم وكافة الذنوب التى ارتكبت فى العالم تقع عليه عن الذين اقترفوها ، ويخلص العالم

---

(٢٢) كتاب بنصن الملاك المسيح ٤٩

(٢٣) دوان ص ٢٩٣

(٢٤) دوان ص ٢٩٣

(٢٥) دوان ص ٢٩٣

(٢٦) دوان ص ٢٩٣

(٢٧) كتاب مولر المدعو تاريخ الآداب السنسكريتية ص ٨٠

(٢٣) انجيل متى الاصحاح ٢٨ وانجيل يوحنا الاصحاح ٢٠

(٢٣) أعمال الرسل الاصحاح الأول عدد ١ — ١٢

(٢٤) أعمال الرسل الاصحاح الأول

(٢٥) انجيل متى الاصحاح ٦ عدد ٢٢

(٢٦) انجيل يوحنا الاصحاح ١ عدد ١

(٢٧) دوان ص ٢٩٣ وكذلك التعليم المسيحى

٢٨ — قال بوذا : أخفوا الأعمال الحسنة التى تفعلونها ، واعترفوا بذنوبكم علانية

٢٩ ويصفون بوذا أنه ذات من نور غير طبيعية والشرير مارا « ويدعونه أيضا الحية » ذات مظلمة غير طبيعية

٣٠ — وفى أحد الأيام التقى أناندا تلميذ بوذا وهو سائر فى البلاد بالمرأة (مناجى) وهى سبط الكندلاس المرذولين قرب بئر ماء ، فطلب منها قليلا من الماء فأخبرته عن سبطها وأنه لا يجوز له أن يقترب منه ، لأنها من سبط محتقر ، فقال لها يا أختى انى لم أسألك عن سبطك وعن عائلتك ، انما سألتك شربة ماء فصارت من ذاك الحين تلميذة بوذية

٣١ — قال بوذا انه لم يأت لينقض الناموس كلا بل أتى ليكمله وقد سره عد نفسه حلقة فى سلسلة المعلمين الحكماء

٣٨ — قال يسوع : أخفوا الأعمال الحسنة التى تفعلونها ، واعترفوا بذنوبكم علانية

٢٩ — ويصفون يسوع أنه ذات من نور غير طبيعية ، شمس بر وعدوه الشيطان الحية القديمة

٣٠ — وفى أحد الأيام قعد يسوع قرب بئر ماء بعد ما سار مسافة ، حتى كان ينهكه التعب ، وبينما هو قرب البئر عند مدينة السامرة أتت امرأة سامرية لتملأ جرتها من البئر ، فقال لها يسوع اسقينى شربة ماء فقالت له المرأة السامرية أنت يهودى وكيف تطلب منى شربة ماء فان اليهود لا يستحلون معاملة السامريين

٣١ — قال يسوع لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل

---

(٢٨) مولر كتابه المدعو العلوم الدينية ص ٢٨

(٢٩) بنصن الملاك المسيح ص ٣٩ ودوان ص ٢٩٤

(٣٠) كتاب مولر المدعو العلوم الدينية ص ١٤٠

(٣١) كتاب بنصن الملاك المسيح ص ٤٧ ، ٤٨

(٢٨) انجيل متى الاصحاح ٦ عدد ١ ورسالة يعقوب

(٢٩) انجيل يوحنا الاصحاح ٤ عدد ١ وانجيل لوقا

(٣٠) انجيل يوحنا الاصحاح ٤ عدد ١ : ١١

(٣١) انجيل متى الاصحاح ٥ عدد ١٧

٣٢ ــ وبحسب تعليم بودا يجب أن تكون كافة أعمــالنا مع أهلنا وجيراننا بالمحبة والحسنى

٣٣ ــ وفى أوائل أيام بوذا التى علم وبشر فيها ذهب الى مدينــة بينارس وعلم فيها فتبعه كوندينا ثم تبعه أربعة رجال آخرين وصاروا جميعهم تلامذة له ، ومن ذلك الحين صــار أينما علم وكرز يتبعــه رجال ونســاء كثيرون ويصيرون من أتباعه وتلاميذه

٣٤ ــ وقال بوذا للذين صــاروا تلامذة ليتركوا الدنيا وغناهم وينذروا عيشة الفقر والفاقة

٣٥ ــ وجاء فى كتــاب البــوذية القانونية المقدســة أن الجموع طلبوا من بوذا علامة « أى آية » ليؤمنوا به

٣٦ ــ لما اقترب انتهــاء أيام بوذا على الأرض وعلم الحوادث المقبلة التى ستقع قال لتلميــذه أناندا ما يأتى ؟

---

(٣٤) هاردى فى كتابه المدعو الرهبانية فى الشرق ص ٥ ، ٦٢

(٣٥) كتــاب عــلم الأديان ص ٢٧ تأليف مولر

(٣٦) كتــاب الموناشــيزم الشرقية ص ٢٣٠ تأليف هاردى

---

٣٢ ــ وقال يسوع أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا الى مبغضيكم

٣٣ ــ وفى أوائل أيام يسوع التى علم وبشرفيها ذهب الى مدينــة كفــر ناحوم وعلم فيها فتبعه من ذاك الحين أربعة رجال صيادين وصاروا تلاميذ له ومن هذا الحين صــار أينما كرز يتبعه رجال ونساء كثيرون يؤمنون به

٣٤ ــ وقال يسوع للذين صــاروا تلامذة له ليتركوا غناهم وينذروا عيشة الفقر والفاقة

٣٥ ــ وجاء فى كتب النصارى المقدسة أن الجموع طلبــوا من يسوع آية كى يؤمنوا به

٣٦ ــ لما اقترب انتهاء أيام يسوع على الأرض أخبــر عن الحوادث التى ستقع منبعده وقال لتلاميذه : اذهبوا

---

(٣٢) انجيــل متى الاصــحاح ٥ عدد ٤٤

(٣٣) انجيــل متى الاصــحاح ٤ عدد ١٣ ــ ٢٥

(٣٤) انجيل متى الاصحاح ٨ عدد ١٩ ، ٢٠ والاصحاح ١٦ عدد ٢٥ ــ ٢٨

(٣٥) انجيــل متى الاصــحاح ١٢ عدد ١٢

(٣٦) انجيــل متى الاصــحاح ٢٤ وانجيل مرقس الاصحاح ٨ عدد ٣١

يا أناندا متى أنا ذهبت لا تظن أنه لم يعد لبوذا وجود ، كلا ، فالكلام الذى قلته والفرائض التى افترضتها تكون خلفا عنى وهى لك كذاتى أنا

٣٧ — وجاء فى التعاليم البوذية أن انفاق الانسان لماله من أعظم الصعوبات ومن ينفق غنـاه هو أشـبه بمن يهب روحه ، لأن النفس تبخل بالمال وتتمسك به ، وبوذا قد وهب ونذر حياته شفقة وحنوا لخـير الناس ، فلماذا نتمسك بغناء الدنيا الزهيد ولما تخلص بوذا من حب المشتهيات الدنيوية وملذاتها نال المعرفة الالهية وصـار الرأس فليعمل الرجل الحكيم الهاجر لملذات الدنيا الخير مع كل أحد حتى تقديم نفسه فداء عن الغير ، عندها يصل الى المعرفة الحقيقية

٣٨ — وكان قصد بوذا تشييد مملكة دينية أى مملكة سماوية

٣٩ — وقال بوذا الآن أحببت ادارة دولاب الشريعة العظيم ومن أجل هذا فانى ذاهب الى مدينة بينارس لأهب

(٣٧) مولر فى كتـاب عـلوم الدين ص ٢٤٤

(٣٨) بيل تاريخ البوذية ص ١٠

(٣٩) بيل تاريخ البوذية ص ١٤٤

وتلمدوا جميـع الأمم • وعلموهم أن يحفظوا هم جميـع ما أوصـيتكم به وها أنا معكم كل الأيام الى انقضـاء الدهر

٣٧ — واذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل ليكون الحياة الأبدية • قال يسوع : ان أردت أن تكـون كاملا فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصـدأ وحيث ينقب السـارقون ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزا فى السـماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون

٣٨ — ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه اقترب ملكوت السموات

٣٩ — من بعـد تجربة الشـيطان ليسوع ابتـدأ يسوع بتأسيس مملكة دينية ومن أجل هذا الغرض ذهب الى

(٣٧) انجيل متى الاصحاح ٦ عدد ١٩ ، ٢٠

(٣٨) انجيـل متى الاصـحاح ٤ عدد ٧

(٣٩) انجيـل متى الاصـحاح ٤ عدد ١٢ ، ١٧

نورا للتائهين فى الظلام وأفتــح باب الحياة للانسانية

٤٠ ــ وقال بوذا للتلميــذ الحبيب أناندا ان كلامى لا ريب فيه فلا يزول قطعيا ولو وقعت السموات على الأرض وابتلع العالم وجفت البحار واندك جبل سومر وصار قطعا

٤١ ــ قال بوذا : لايوجد شئ أعظم فعلا فى الانسان من الاشتهاء والهواء الشــهوانى ولحسن الحظ والســعادة لا يوجد سوى اشتهاء شهوانى واحد ولو كان يوجد اشتهاء آخر لما كان على وجه الأرض رجل يتبع الحق فاحترسوا من تحقيق بصركم فى النساء وان كنتم مجتمعين معهن فاجعلوا اجتماعكم كأنكم غــير حاضرين معهم واذا كلمتمــوهن فاحترسوا على قلوبكم

٤٢ ــ وقال بوذا : الرجل العاقل الحــكيم لا يتزوج قط ويرى الحيــاة

---

(٤٠) بيل تاريخ البوذية ص ١١

(٤١) كتاب تقــدم الأفكار الدينية المجلد الأول ص ٢٢٨

(٤٢) ريس دانس فى كتــابه المدعو البوذية ص ١٠٣

مدينه كفر ناحوم ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه اقترب ملكوت الله ، الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نورا عظيما ، والجالســون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور

٤٠ ــ النــاموس أعطى لموسى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صــار الحق أقول لكم السماء والأرض تزول ولكن كلامى لا يزول

٤١ ــ قال يسوع : قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن وأما أنا فأقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها قلبه

٤٢ ــ فحسن للرجــل أن لا يمس امرأة ولكن ان لم يضــبطوا أنفسهم

---

(٤٠) انجيل يوحنا الاصحاح الأول عدد ١٧ وانجيل لوقا

(٤١) انجيل متى الاصحاح الخامس عدد ٢٧ ، ٢٨

(٤٢) رســالة كورنثــوس الأولى الاصحاح ٧ عدد ١ ــ ٩

الزوجية كانون نار متأججة ومن لم يقدر على العيشة الرهبانية يجب عليه الابتعاد عن الزنى

٤٣ ــ ومن جملة التعاليم البــوذية قولهم اذا أصاب الانسان حزن وآلام وبؤس وقنــوط فان ذلك يدل على أنا ارتكب آثاما ، وهذه الآلام جزاء عليها . واذا لم يكن ارتكب شيئا من الآثام فى هذا الدور الحاضر من حياته لا بد أن يكون قد ارتكبه فى أحد الأدوار السابقة من ظهوره « أى فى أحد أدوار تقمصه »

٤٤ ــ كان بوذا يعلم أفكار الناس عند ما يدير تصوراته نحوهم ويقــدر على معرفة أفكار المخلوقات كلها

٤٥ ــ وجاء فى كتــاب الصوماديفا حكاية منسوبة لأحد القديسين البوذيين أنه قلع عينه ورماها لأنها شككته

٤٦ ــ لما عزم بوذا على التنسك كان راكبــا جوادا يدعى كنتــاكو ففرشت الملائكة طريقه بالزهر

(٤٣) ريس دانس فى كتــابه المدعو البوذية ص ١٠٣

(٤٤) هردى فى كتابه المدعو خرافات البوذيين ص ١٨

(٤٥) كتاب مولر المسمى العــــلوم الدينية ص ٥٤٢

(٤٦) هردى فى كتابه المسمى خرافات البوذيين ص ١٣٠

فليزوجوا لأن التــزويج أصــلح من التحرق

٤٣ ــ وفيما هو مجتاز رأى انسانا أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه قائلين : يا معلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى

٤٤ ــ كان يسوع يعلم أفكار الناس عندما يدير تصوراته نحوهم وأنه قادر على معرفة أفكار المخلوقات كلها

٤٥ ــ قال يسوع فان كانت عينك اليمين تعثرك فاقلعها وألقها عنك

٤٦ ــ لما كان يسوع داخلا أورشليم راكبا على حمــار فرشت له الجمــوع الطريق بأغصان النخيل

(٤٣) انجيل يوحنا الاصحاح التاسع عدد ١ ، ٢

(٤٤) انجيل يوحنا الاصحاح الرابع كلامه مع المرأة السامرية

(٤٥) انجيــل متى الاصــحاح ٥ عدد ٢٩

(٤٦) انجيــل متى الاصــحاح ٢١ عدد ١ ، ٩

٣ ـ وقد كانت كثرة هذه الأساطير والأخبـار التى يعسر على العقل أن يصدقها من غير بينات قائمة ، وسلطان ـ سببا فى أن وجد من المؤرخين من يزغم أن بوذا شخصية خرافية لا وجود لها ، وأن البوذية ليست الا مجموعة تعاليم انتحلت لها هذه الشخصية انتحالا • ولكن الحق أن بوذا قد وجد حقا وأن قبره قد قامت بجواره مسلتان ، وأنه قد وصل الى تعاليم وحقائق عن طريق التجربة والمقـابلات الدقيقة بين الأمور والآراء المختلفة ، وأنه كان على جانب عظيم من طيبة النفس ، وحسن الخلق ، ولطف المعشر ، وكانت نفسه معتركا شديدا لنضال بين نوازع الجسم وما أخذ به نفسه بالرياضة ، حتى انتهى بالانتصار على لذاته انتصارا مؤزرا •

ولكن مع الاعتقاد بوجود بوذا نقول ان كل ما أحيط به من أساطير باطل لا يقوى على النظر الصحيح والفكر الثاقب •

٤ ـ آراء بوذا والالهيات : ـ ثبت أن بوذا كان عاكفا على دراسة واحدة هى التى جعلها عماد نظره ، وقوام بحثه ، والأساس الذى بنى عليه ديانته ، أو بعبارة أدق مذهبـه الخلقى ، وتلك الدراسـة كان موضوعها تخفيف ويلات الانسانية ، والقضاء على الشقاء فى الحياة ، واجتثاثه من أصله •

ولكن قوما من الباحثين ادعوا أنه أنكر حقيقتين ، هما « ١ » الألوهيـة « ٢ » النفس الانسانية •

أما الأولى فقد زعم بعض المؤرخون أنه روى عن بوذا أنه أنكر وجود اله قد أنشأ الأكوان • ويقول انه كان يقول : وما الاله ؟ أهو العناصر نفسها ؟ لئن كان ذلك ، ما كان فى الأمر جديد غير وضع اسم على شىء ، ويقول أنصار ذلك : انه كان يعتقد أن فى العالم فقط روحا عاما متغلغلا فى كل شىء •

وان الذى نعتقده أن بوذا لم يتعرض للبحث فى الألوهية بسلب أو ايجاب ، وأن مذهبه اصلاحى اجتماعى خلقى أكثر منه دينى ، ولذا لم يتعرض للاهوت ، ولعل العبارةالتى وردت فى بعض الروايات كانت فى أثناء حيرته وهو منهمك فى الأدغال والأحراش ، هائم على وجهه طالبا للحقيقة ، بل ان العبـارة يتبين من لحنها واستفهامها أنها عبارة شاك محير لا عبارة منكر جاحد • وان أولئك الذين يعتمدون على تفكيرهم الخاص فى الوصـول الى الحقيقة يعتريهم مثـل ذلك الاضطراب •

والمذهب لا يؤخذ من قول المفكر عند حيرته ولا من عبارة تلقف عنه ، بل المذهب ما يستقر عليــه الشخص ، ويتجه اليــه ، ويدعو الناس لاعتناقه ، ولم يدع أحد أن ذلك كان جزءا من مذهبه وآرائه ، دعا الناس اليه ، بل ان منتحلى نحلته كانوا جميعا يؤمنون بقوة مسيطرة على العالم ، ولم يمنعهم ذلك من أن يجمعوا بين عقيدتهم ومذهبــه ، واذا كان من متبعيه من نحله أوصاف الاله ، فذلك دليل يظن معه أنه ليس من دعايته انكار الاله •

٥ ــ وأما انكار النفس ، فقد ورد أيضــا منحولا له ، ولكن ذكرته أكثر المصادر ، فهو أقوى سندا من الانكار الأول ، وأصدق نسبة ولكنه لا يتلاءم مع جملة أفكارهم ، وخلاصة ما ينسب اليهم ، ومما ينسب اليهم بلا ريب فى نسبته (التناسخ) والتناسخ لا يفهم الا اذا كان للنفس كون قائم مستقل عن الجسم ، وليست خاصة له ، ولا ظاهرة من ظواهره • وبيان ذلك أن التناسخ يقتضى أن يكون شىء منتقلا من جسم الى جسم حتى يصعد فى مدارج الرقى أو يكفر عن الخطايا بالنزول فى جسم أدنى ، ونحو ذلك ، ولا جائز أن يكــون ذلك الشىء جسما ، لأنه لا معنى لانتقــال جسم حى فى جسم آخر حى ، الا اذا كان فى أحدهما خاصة ليست فى الأول ، وهى غير الحياة ، لأن كليهما فيه الحياة ، فلا بد أن يكون ذلك معنى نفسيا •

ولهذا رأى بعضهم لكى تتلاءم فكرة التناسخ مع فكرة انكار النفس ، أن يقول : ان النفس غير موجودة ، ولكن هناك رغبه هى التى تنتقل من جسم الى جسم ، ومن حى الى حى تبعا لقانون التناسخ ، وهذا فرض لا يمنع الاعتراض الوارد ، والتناقض الواقع ، لأن هذه الرغبة اهى خاصة للجسم ، أم هى شىء غير الجسم ؟ فان كانت شيئا غير الجسم فهى النفس سواء أسموها رغبه أم نفسا ، وبذلك يعود هذا على اصلهم بالنقض ، ويؤدى كلامهم الى نقيض ما يدعون ، ويهدمون بيد ما يبنونه باليد الأخرى •

وان كانت الرغبــة خاصة من خواص الجسم ، ولازمة من لوازمه فكيف تنتقل الى جسم آخر وهى خاصة من خواص غيره ؟ ذلك يقتضى أن ينتقل الجسم مع رغبته الخاصة به ، لأنه من غير المعقول أن يوجد اللازم من غير ملزومــه والخاصة من غير المختص بها •

لهذا كله نقول : ان انكار بعضم للنفس يتنافى مع اعتقادهم التناسخ الثابتة نسبته لهم والتوفيق بينهما يؤدى الى أمور لا يقبلها العقل ، أو يؤدى الى هدم أحد الأمرين اعتقاد التناسخ أو انكار النفس •

٦ ـ **المذهب البوذى العملى :** ـ الجزء الخصب فى البوذية هو مذهبها فى الأخلاق واصلاح المجتمع ، وتخفيف ما فيه من شقاء ، فلقد لاحظ بوذا أن هذه الحياة تحوطها الأكدار والآلام من كل جانب ، بل انها الام تتبعها أحزان تشقق المرائر • وتجعل كل انسان فى نغص دائم وبلبال مستمر ، ولاحظ أن منشأ تلك الآلام التى طم سيلها فى هذه الحياة اللذات والأمانى التى تبعثها الرغبات التى استحوذت عليها الملاذ والشهوات •

فاللذات فى عقباها آلام ، وان تطلعت النفس اليها وتمنتها كان فى الحرمان منها آلام أيضا : فلولا انبعاث اللذات ، ما كانت الآلام ولولا استهواء الأمانى التى تبعثها اللذات ما كانت آلام الحرمان ، لذلك كان لابد لمحو الآلام القضاء على أصلها ، والنبعة التى نبعت فيها ، وذلك يكون بالقضاء على اللذات وآمالها وأمانيها ، ولا يتم هذا الا اذا راض الشخص ارادته على هجر اللذات جملة ، ومجاهدتها ليكون للانسان القدرة التـــامة ، فلا يناله الحرمان من لذة بمضض الألم •

لهذا كله كان العماد الذى أقام عليه بوذا مذهبه فى السلوك القويم للانسان أن يجاهد الشخص الشهوات ، ويروض ارادته والعود اخضر على ترك اللذات ، والصبر على الحرمان منها ، فلا يكون ألم •

٧ ـ ولكى يصل الشخص فى يسر ومن غير عنف الى تلك الغاية السامية وهى رياضة الارادة لكى يتحمل الحرمان منغير ألم يصحبه يجب عليه سلوك الجادة المستقيمة والمر الوسط ، وذلك بأن يكون فى حياته كلها مقيدا نفسه بثمانية أمور فى كل شأن من شئون الحياة ، وتلك الثمانية هى :

(أ) الاتجاه الصحيح المستقيم بأن يتجه الى أى أمر يريده اتجاها صحيحا مستقيما خاليا من كل سلطة للشهوة واللذة وما تبعثه من أمانى وأحلام فاسدة ، فيجتهد عنـــد الاتجاه الى أى أمر فى أن يخلص أرادته من شـــائبة اللذات أو الشهوات ، وما يتصل بها من آمال تبعثها وأحلام تثيرها ، وفى الجملة ينقى نفسه من كل ما يتصل باللذة عند الاتجاه •

(ب) الاشراق الصحيح المستقيم ، وذلك أن الانسان عند الاتجاه الى أمر من الأمور اتجاها مستقيما خاليا من شوائب اللذات ، تعتريه نورانيـــة تجعله يستطيع الوصول الى حقائق الأشياء من غير أن يرنق نظره الى أى درن من أدران اللذة ، ولا يرين على عقله ما تثيره من أهواء •

(جـ) التفكير الصحيح المستقيم • وذلك أن العقل ان خلا من شوائب اللذة ، ونال الاشراق الصحيح كان تفكيره مستقيما ، وكانت العمليات العقلية التى يقوم بها فى التفكير فى هذا الأمر مستقيمة لا تؤثر فيها نزعة هوى ، ولا جموح شهوة ، ولا اضطراب الأمانى والأحلام فى قلبه •

(د) ولا شك أن هذه المستقيمات الثلاثة السابقة : الاتجاه المستقيم والاشراق المستقيم ، والتفكير المستقيم يترتب عليها أمر رابع مستقيم ، وهو اطمئنان العقل والقلب الى فكرة خاصة من بين ما يعرض لها من الأفكار والآراء والأنظار • وذلك هو الايمان المستقيم • أو الاعتقاد المستقيم الذى يصحبه ارتياح واطمئنان ، وبه يصير القلب فى روح وريحان من النعيم المعنوى •

(هـ) والذى يتمم الأمور الأربعة السابقة لفظ مستقيم ، وذلك بأن يكون نطق الانسان بما انتهى اليه من فكرة مطابقا تمام المطابقة لاعتماده ، ولما ارتاح اليه ، وعمر قلبه بالسرور به •

(و) السلوك المستقيم : وذلك هو الأمر السادس الذى لا بد منه لسلوك الممر الوسط ، والسلوك المستقيم ما يكون مطابقا لكل ما قام بالقلب من اعتقاد فيكون العمل على وفق العلم ، فلا مجافاة بينهما ، ولا مناقضة ، بل يكون كل منهما مؤكدا للآخر أو متمما له •

(ز) الحياة الصحيحة ، بأن يكون قوامها هجر اللذات هجرا تاما وأن يكون كل ما يجرى فيها متطابقا مع السلوك القويم ، والعلم الصحيح ولا يشذ فيها شىء عن مقتضى هذا السلوك ، وأحكامه •

(ح) الجهد الصحيح • وذلك بأن تكون كل الجهود التى يبذلها الانسان فى سبيل أن تكون الحياة مستقيمة سائرة على مقتضى السلوك ، والعلم ، والحق ، ومنع ما كان له صلة باللذات ، أو من شأنه أن يثير دواعيها ، ويحفز اليها •

٨ ـ هذه هى الأمور التى لو تمت على وجه مستقيم سار الشخص على الجادة ، وسلك الممر الوسط الذى يوصل الى حياة سعيدة خالية من الآلام خلوها من دواعيها ، وهى الشهوات واللذات •

واذا كان فى هذا الكلام شىء من الخير ، فهو فى مقاربته فى بعض نواحيه الى ما يرمى اليه الحديث الشريف : « لا يؤمن أحدكم ، حتى يحب الشىء

لا يحبه الا لله » بأن يحب الشيء خاليا فى محبته له من كل شوائب الأغراض والأهواء قاصدا بمحبته وجه الله سبحانه وتعالى ، وذلك فى جملته يقرب منه فى الاتجاه الصحيح ، وان كان معنى الحديث أسمى ، وأدق ، وأحكم .

٩ ـــ واذا كان ما تقدم هو لب الفضائل البوذية ، وما تدعو اليه من مجاهدة اللذات وبواعثها ورياضـــة الارادة على تركها جملة ، فالرذائل عنـــد البوذيين منشؤها هو اللذات ، والانهماك فيها ، وما تدعو اليه . ونقيض ما تقـــدم من الأمور المستقيمة التى يتكون منها الممر الوسط هو رأس الرذائل وعماد الآلام ولذلك يرجع الرذائل الى أصول ثلاثة :

(أ) الاستسلام للملاذ فانه يجعل الحياة كلها فى ألم مستمر ، وفوق ذلك يعكس نظر الأشـــياء فى العقل والقلب ، فكل نظر يكون مغشيا بغشـــاوة من الشـــهوات والرغبات والأحلام الفاســـدة ، والأمانى الكاذبة التى تبعث اليها اللذات الملحة .

(ب) سوء النية فى طلب الأشياء ، وذلك من استمكان اللذات فى النفس فان الغرض الفاسد يتحكم فى طلب الانسان للأشياء ، فلا يصير واضح المقصد بين الغاية لما له من مآرب يطلبها ويسترها ، وغايات تدفعه ولا ينالها ، ويدفعه الى الكتمان رغبـــة نيلها ، وتوقع الاعتراك بينه وبين غيره فيها ، لذلك يسود سوء النية ، فهو اذن وليد استكمان اللذة فى القلب ، واستيلائها عليه ، وهو أيضـــا أصل لكثير من الرذائل كالغش والكذب والنميمة وغير ذلك .

(جـ) الغباء وعدم ادراك الأمور على الوجه الصحيح وفى أكثر الأحيان يكون ذلك منشؤه من رين الشهوات على النفس . وسدها سبيل الادراك الصحيح فيصبح العقل لا يرى الا ما تعكسه عليه ، ويمتنع على النفس الاشراق الذى ينشأ من التجرد من الملاذ ، والالهام الذى يكون من هجر الشهوات .

١٠ ـــ وقد ذكر فى كتب البوذية عشر رذائل ، جاء النهى عنها فى تلك الكتب على صورة وصايا ، وهى لو أخذ الشخص نفسه بها ، ورعاها حق رعايتها ، كان فى الأخذ بها استيلاء تام على الارادة ، وتلك الوصايا العشر هى :

(أ) لا تقتل أحدا ، ولا تقض على حياة حى .

(ب) لا تأخذ مالا يقدم اليك ، فلا تسرق ولا تغتصب •

(جـ) لا تكذب ، ولا تقل قولا غير صحيح •

(د) لا تشرب خمرا ، ولا تتناول مسكرا ما •

(هـ) لا تزن ، ولا تأت أى أمر يتصل بالحياة التناسلية اذا كان محرما •

(و) لا تأكل طعاما نضج فى غير أوانه •

(ز) لا تتخذ طيبا ، ولا تكلل رأسك بالزهر •

(ح) لا ترقص ، ولا تحضر مرقصا ولا حفل غناء •

(ط) لا تقتن فراشا وثيرا ، فلا تقتن أرائك فخمة ، ولا وسائد ولا حشايا وثـيرة •

(ى) لا تأخذ ذهبا ولا فضة •

١١ — هذه هى الوصايا العشر التى يأخذ بها البوذى ليروض ارادته على ترك الملاذ ، والعكوف على المجاهدة وتهذيب الذات ، وتخفيف ويلات الحياة ، ومنها ترى أنهم يحثون على عدم أخذ الذهب والفضة ، كأنهما الأمر الذى تضل عنده الأفهام ، وتستيقظ حوله المطامع وكأنهما مدخر اللذة ، لاستعانة الناس بهما فى اختراع اللذات ، واجترار الشهوات ، ولهـذا النهى عن اقتناء الذهب والفضة قال العلماء : ان البوذية تحث على عدم الملك ، وتطالب البـوذى أن لا يملك شيئا ولا يقتنى شيئا ، فهو يطلب طعامه يوما بعد يوم ، ولا يدخر من يومه الى غده •

ولقد كان هذا سببا فى أن ينقسم البوذيون الى قسمين :

« أحدهما » البوذيون الدينيون الذين أخذوا أنفسهم بالتعاليم السابقة لا يحيدون عنها قيد أنملة ، وقيـدوا أنفسهم بأنواع من الأطعمة لا يعدونها ، ويحرمون كل شىء غيرها ، ولا يلبسون الا خشن الثياب ولا يرضون الا جشب العيش ، لما راضوا أنفسهم عليـه ، من ترك كل لذات الحياة وراءهم ظهريا ، ليستولوا عليها ويمتنعوا عن آلامها •

« ثانيهما » البوذيون المدنيون ، وأولئك هم البوذيون الذين لم يطيقوا تطبيق المنهاج الشاق الذى أخذ به الدينيون منهم ، فاختاروا لأنفسهم طريقا وسطا ليس فيه افراط غير البوذيين فى اللذات ، ولا شدة البوذيين الدينيين بل هو وسط بين النجدين • أخذوا الأخلاق البوذية من تواضع وايثار وحب للفداء وصدق وأمانة وحلم وعلم وصفاء ، ونالوا بعض الملاذ التى لا تعقب ألما ، ولم يندفعوا فيها حتى لا يصابوا بألم عند الحرمان (١) وفى الوقت الذى سلكوا فيه هـذا المسـلك آووا اخوانهم الدينيين ، وأعانوهم على طريقتهم ، وأمدوهم بالأسباب التى تعاونهم على الايغال فى مذهبهم ، معتقدين أن من آمن ببوذا وتحلى بما يدعو اليه من أخلاق وآوى رجال دينه ، وأعانهم ثم تناول بعد ذلك بعض متع هذه الحياة ، فانه يصـل الى طريق الخلاص ، ويرقى الى مرتقى السعادة والنجاة •

١١ — **ما بين البرهمية والبوذية :** تبين مما مضى أن البوذية لم تعن بالبحث عما وراء الطبيعة ، فلم تتجه الى الدراسات التى تتصـل بالألوهية ، وحدود سلطانها بل كل عنايتها لاصلاح الانسانية بانقاذها من الآلام ، وابعادها عن ويلاتها ، برياضة الانسان على هجر اللذات ، وتربية الارادة على اهمالها وعدم العناية بها على ما تقـدم ، وهذا كما ترى فارق بين البوذية والبرهمية ، فان البرهمية كانت فيها العناية الكبرى بالجانب الالهى • والتقرب للمعبود ، والفناء فيه ، وكل ما فيها من نسك فهو لهذه الغاية فاذا اتحدت البوذية والبرهمية فى النسك والزهد فى الملاذ وهجرها ، فالغـاية مختلفة ، فغـاية البرهمى الزلفى والتقرب للمعبود واعطاؤه ما يستحق من عبادة ، أما البوذى فغايته من النسك رياضة الارادة على الحرمان ، وتعويدها السيطرة على الرغبة فى الملاذ ، لكيلا تشقى بطلبها ويحز فيها الحرمان •

ولقد كان أبلغ ما أحدثته البوذية من أثر فى المجتمع الانسانى ، الغاؤها نظام الطبقات واعتبارها بنى الانسان سواسية كأسنان المشط يتفاضلون فى المواهب ، ويتساوون فى الحقوق ، لا فرق بين شخص وشخص بنسبه أو طبقته ، ولكن الفرق بينهما بالموهبة والقدرة والعمل • محا بوذا اذن الفرق بين الطبقات وتلاقى

---

(١) ولقد اكتفى المدنيون بأن يطيعوا من النواهى العشرة المتقدمة ، الخمسة الأولى فقط وهى النواهى عن القتل ، والسكر ، والسرقة ، والكذب . أما خمسة النواهى الأخرى فهى خاصة بالمتدينين .

الناس فى مذهبـــه عند الوحدة الانسانية ، من غير اعتبار للاختلاف العنصرى ولا فضل لأحد الا بالمعرفة وسيطرة الارادة الانسانية سيطرة تامة ، لا تقوى اللذات على التغلب عليها •

١٢ ــ **كتب البوذية :** كتب البوذيين ليست منزلة ، ولا يدعون ذلك هم ، بل هم لا ينسبون ما فيها الى جانب الهى ، بل هى عبارات منســوبة الى بوذا أو حكاية لأفعاله أو نقل لما أقره من أعمال أتباعه ونصوص تلك الكتب مختلفة بسبب انقسام البوذيين فى نحلهم • فبوذيو الشمال لديهم نصوص ليست عند أهل الجنوب ، وأكثرها قد اشتمل على أوهام كثيرة ، تتعلق ببوذا ، أو حلول الاله فيه ، ونصوص بوذيى الجنوب هى الأصح نسبا ، والأصدق قولا والأبعد عن الأوهام ، وهى التى نعتمد على بيانها •

تنقسم تلك الكتب الى ثلاثة أنواع « أولها » يشتمل على مجموعة قوانين البوذية ومسالكها ، وقد جمعت تلك المجموعة ســنة ٣٥٠ ق‌م وهى تنقسم الى ثلاثة أقسام • قسم يحوى العقوبة المفروضة على ما يقع من البوذى من ذنوب ومخالفات ، ويحوى نحو سبع وعشرين ومائة فقرة • وقسم يحوى التعاليم التى يجب اتباعها لتربية النفس على ما يدعو اليه البوذيون ، وفيه قرارات المجالس البوذية التى انعقدت فيما بين سنتى ٣٨٠ و ٣٢٠ ق م وفيه أيضا بيان بما يتبع لقبول طالبى البوذية واجتماعات البوذية ، وتفاصيل حياة البوذى • وقسم فيه خلاصة القسمين الماضيين ، ليكون فى متناول الجماهير ، وفيه خلاصة للسلوك القويم الذى يدعو اليه البوذيون •

« ثانيها » مجموعة الخطب التى ألقاها بوذا ، ووصاياه ، وهى مجموعات مختلفة تضم كل مجموعة طائفة من المسائل المتقاربة فى الفكر ، وفى هذه الخطب وصايا بوذا ، ودعواته التى وجهها الى الناس وكثير من الأحكام التى تتصل بالبوذية مما يجب على البوذى سلوكه ، وكل هذه الخطب والوصايا تنسب لبوذا •

« ثالثها » الكتاب الذى يحوى بيان أصل المذهب ، والفكرة التى نبع منها ، وبعبارة أدق فيــه الفلسفة التى قامت عليها الديانة البوذية ، والأصــل الذى استنبطت منه تعاليمها ، وفيه بحوث تدور حول الخير والشر ، واللذة والألم وفى الجملة نرى فى كتب البوذية كلاما خصبا قيما فيه بيان للأخلاق والسلوك القويم ، وقد ترجمت الى اللغات الحية وكانت مادة لدراسات فلسفية خلقية •

الكونفوشيوسية

١ ـ مكنت العقليه الصينيه والفكر الصينى القديم كنزا مدفونا فى أحقاب التاريخ لا يعرف العربيون ، ومن داناهم شيئا منه ، حتى خيل اليهم أن تلك الأمه القديمه ليست لها فلسفه ولا لون خاص من الوان الفكر الانسانى ، ولا منهج خاص من مناهج السلوك لبلوغ الغـايه السامية فى طريق الخير ؛ وما كان ذلك الخفاء الا لصعوبه الوصول الى تعرف ماضى تلك الأمه ، فاللغه الصينيه عسيره ليس من السهل معرفتها ، والتراجم عنها ليست كامله الصحة ، ولا تامة التصوير لمعانى ما اشتملت عليه بسبب تلك الصعوبة ، ولكن تلك الغشاوة لم تلبث أن ازيلت ، وكشفت الارادة الانسانية ودأب العلماء ، وحرصهم على طلب المعرفه ولو بالصين ـ عن الفلسفة الصينية والعقل الصينى ، والنفس الصينيه ، ولقد استبان مما كشفوا عنه ان أخص ما امتازت به النفس الصينيه ، انها اقدر النفوس على تحويل النظريات الخلقية الى أخلاق عملية ، ففلسفتها تقوم على السلوك القويم للانسان ، وهى عمليه فى هذا المعنى أكثر منها نظريه ، فحكم الحكماء ووصاياهم ، ونظرياتهم الفلسفية هى أعمال الشعب فى سلوكه ومنهاجه •

واذا كان العالم قد رأى الاراء الدينيه على اكمل وجوهها فى الساميين والتصوف على اكمل مناحيه فى الهنود ، والفلسفه النظرية فى الاغريق ، فالفلسفة العمليه على اكمل وجوهها فى الصين • الفلسفه عندهم تنحو نحو الأخلاق وهى تبتدىء بنظريات للأخلاق الفاضله • وأسس لقواعد الخير والشر ، ولا تلبث حتى تبسط وتسهل وتصير أخلاقا عامة للشعب ، فالجانب العملى له العنـاية الأولى لديهم ، ولهذا بلغت الأخلاق عند الصينيين درجة من السمو أدهشت العلماء عند ما تعرفوها ، وعلموها ، ولقد شده المبشرون عند ما علموا ما عند الصينيين من حكم موروثة ، ووصايا ، وآراء خلقية سامية ، ولذا قرروا أن الصينيين لا بد وأن قد بعث فيهم رسل ، ولقد أخذوا لهذا يوازنون بين التوراة والكتب الصينية فى الأخلاق والحكم والوصايا •

ومهما يكن أمر الدافع الذى يدفع هؤلاء المسيحيين الى الظن ، فليس عندنا نحو المسلمين من مانع يمنع من قبوله . بل أنا أقرب الى اعتقاده ، لأن الله سبحانه وتعالى وهو الحكيم العليم ، الرءوف الرحيم ،لا يترك أولئك الجماعات الكبيرة من البشر من غير هاد يهديهم ، ولا رسول مبين يدعوهم بدعاية الله سبحانه وتعالى ، وان كنا لا نعرف رسولا من هؤلاء الرسل ، ولا عصرا لرسول ، وليس جهلنا هذا نافيا للوقوع ولا دليلا على عدم الحصول ، لأن عدم المعرفة لا يستلزم عدم الوقوع .

ولم يبين القرآن الكريم كل الرسل السابقين ، فقد قال الله تعالى : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » ولذلك نحن لا نستطيع أن نقف موقف السلب من دعوى المسيحيين أن رسلا بعثوا فى الصين ، ولكن ليس لدينا خبر يقينى برسول معين بعث فيهم ، ودعوى ذلك لا تخلو من الحدس والتخمين . « وان الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

٢ — هذا . والذى نلاحظه على الفلسفة الصينية أنها اتصلت بالدين وامتزجت به امتزاجا تاما ، وفى الحق أن التأملات الفلسفية ، والتدين منبعهما من النفس واحد ، ينبعان من مكان فى الوجدان واحد ، غير أن أحدهما يعتمد على العقل المطلق والآخر يعتمد على النقل فى أغلب نواحيه ، وخير القضايا الفلسفية ما كان موافقا للدين الحق ، لأن الدين الحق لا يأتى بشىء يتنافى مع العقل القويم .

وقد تغالبت الفلسفة والدين عند اليونان الأقدمين لانحراف أحدهما وعدم استقامته ، وكذلك اصطدمت الفلسفة والدين فى القرون الوسطى فى أوروبا لهذا الانحراف أيضا ، ولضيق فى صدور القوانين على الدين ، وقد يحدث أن تنحرف الفلسفة ، ولا تتقيد بقواعد العقل ، فتصير أوهاما وأحلاما وتخييلات لا نظرات صائبة وتأملات ، وعندئذ تنحرف عن سمتها فلا يدانيها الدين الحق ، بل يكون بينهما ما يكون بين النقيض والنقيض .

بيد أن الفلسفة فى الصين لم تتجاف عن الدين ، ولم تنأ عنه مع أنك ستعلم أن الدين كان قائما على الاشراك ، والفلسفة قائمة على الأخلاق القويمة ، ومع ذلك تلاقيا وسار التدين مع الفلسفة سيرا متزنا محكما ، وذلك لما بيناه من أن

الفلسفة الصينية قامت على تنظيم السلوك الانسانى ، واصلاح الأخلاق العملية ، وهنا التقت بدينهم من ناحية ما يدعو اليه من حسن المعاملة بين الناس ، فاتخذوا الأخلاق الفاضلة مذهبا فى السلوك القويم ، ودينا تدعو اليه الآلهة فى زعمهم ٠ فكان للأخلاق دعامتان قويتان :

احداهما قائمه على الفلسفة والعقل والمنطق ٠

وثانيتهما قامت على دينهم ٠

وبهذا تقاربت فلسفتهم ودينهم على اقامه بنيان قوى من الأخلاق ، وسلوك الناس ، وان كان دينهم فى عقائده وأسسه ليس شيئا مذكورا ، ولا يمت الى الحق والمنطق بنسب ، ولا يتصل به بسبب ٠

ولقد كان المزج المحكم بين فلسفة خلقية قديمه ودين ليس له أصل قويم ومنطق مستقيم على أتم وضوح فى الكونفوشيوسية وصاحبها كونفوشيوس ٠

٣ ــ حياة كونفوشيوس : الاسم المتــهور فى الصــين « كونغ فوتس » ومعنى فوتس الحكيم أو الأستاذ ، وكونغ هو الاسم ٠ فمعنى التركيب الأستاذ أو الحكيم كونغ : وقد حرف الغربيون التركيب الى « كونفوشيوس » ولد ذلك الحكيم عام ٥٥١ قبل الميلاد باحدى قرى مقاطعة لو من مقاطعات الصين وكانت أسرته عظيمة تمت فى نسبها الى فرع ملكى ، فكان يجرى فى عروقه دم ملكى يشعره بالعزة ، ولقد كان أبوه قائدا عظيما وحاكما لاحدى المدن ، ولم يعقب فى شرخ شبابه ولا فى كهولته ، وقد وهب الله له ذلك الابن الحكيم على الكبر ، وقد نيف على السبعين ، ولكن الطفل لم يكد يبلغ الثالثة من عمره حتى فقد أباه ، ولم يترك له من حطام الدنيا شيئا ، غير أنه عاش على سمعة أسرته ، فعاش وان كان مقدور الرزق ، محدود المورد ، وتعلم العلم الذى كان يتعلمه من هو فى مثل مولده وأسرته ، فتعلم آراء الأقدمين الدينية ، وتفهمها وأخذ بها ، وكان لها سلطان تأم على نفسه ٠

ولننظر نظرة عاجلة الى التهيئة التى حاطت بها العناية ذلك الشاب ، دم نبيل يسرى فى عروقه ، وأسرة سامية ذات شهرة ومجد ، وفقر شديد كان معه

مقترا عليه فى الرزق • وان تلك العوامل مجتمعة من شأنها أن تكون فى الشخص نزوعا الى معالى الأمور من غير استعلاء ، وذلك اذا صادفها مواهب عاليـــة ، ونفس سامية • فان شعور المرء بمجد أسرته ، وكرم محتده ، وشرف نجاره من شأنه أن يجعل فى المرء اتجاها الى معالى الأمور ، وتجافيا عن سفاسفها ، وان الحد من الرزق يخلق فى نفس الشخص العطوف الرفق بالضعفاء ، والتواضع ، ومحبة الناس • ومن ذلك المعنى الأثر الصحيح : « اللهم أحينى مسكينا ، وأمتنى مسكينا ، واحشرنى فى زمرة المساكين » •

فذلك الحكيم الذى تهيأ له أن يكون من أسرة كريمة ، وينشأ فقيرا ، قد اجتمع لديه هذان الأمران ، وبامتزاجهما تعلو النفس عن الدنايا من غير كبرياء ، وتتواضع من غير ضـــعة ، تتسامى من غير ورم فى الأنف ، وتتطامن من غير استخذاء • فتكبر من غير استكبار ، وتتواضع للضعفاء من غير صغار •

تعلم ذلك الحكيم فى صغره ما مكنه من أن ينظر الى الحياة نظرة المستقل ، وأن يدرس طبـــائع الناس وخير ما يطب به لأدوائهم ، وتكون فيـــه سلامتهم واصلاحهم • ولقد تزوج فى مقتبل عمره ، فقد تزوج قبل أن يبلغ العشرين من حياته • ولكنه لم يجد فى زوجه رفيقة تصاحبه فى لأواء الحياة ، وشريكة له تشركه فى سرائه وضرائه ، ففارقها بعد سنين معدودة ، ولكن بعد أن أعقب منها صبيا وجارية صارا له قرة عين •

ولقد أحس كونفوشيوس بحنين منذ بلغ أشده ، واكتملت نفسه الى ارشاد الناس الى خير مناهج الحياة ، وأقوم السلوك ، ولذا كان أشد ما يرغب فيه أن يتولى صناعة التدريس • ولكن لم يتوافر له ذلك أول قيامه بالأعمال العـــامة ، فقد عين فى بعض الأعمال الادارية المتعلقة بالزراعة ، وقبل ذلك العمل على مضض وشوق الى غيره ، وذلك لضيق ذات يده وحاجته الى ما يقيم أوده وأود أسرته ، وقد اعتكف مع ذلك على أسرته يعلم آحادها ومن ينضم اليهم ، وصار منزله منتدى طلاب العلم ومقصده • ولقد عين بعد ذلك أستاذا ، وعندئذ أخذ مذهبه يتكون وآراؤه تتجمع ، ويبديها لا فى كتب يؤلفها ، ولكن فى شبيبة ينشئها فأخذ يبث تعاليمه فيها ، حتى كان له منهم صحب يشبهون حوارى النبيين فى التمسك بفكرته ، والصدور عن دعوته ، والاخلاص لنحلته ، وهو فى هذه الأثناء لا ينى عن تكميل نفسه بكل أنواع المعرفة ، فهو يعلم ويتعلم • ولذلك أعمل

الجهد فى الاتصال بفيلسوف كان فى شيخوخته وكونفوشيوس فى شبابه ذلك الفيلسوف هو لوتس (١) فالتقى به وتعرف اليه ؛ ودارسه آراءه فلم يتفق الفيلسوف الشيخ مع الشاب ، وسنبين فى الفصول الآتية أوجه الخلاف بين الحكيمين .

ولقد اخذ كونفوشيوس يطوف فى الآفاق دارسا مرشدا ، رائضا لنفسه وحاثا أصحابه على الأخلاق القويمة ، حتى لقد استطاع أن يقول عن نفسه التى أشرف على تهذيبها وتكميلها ، ما حكى عنه أنه قال فى كتاب المحاورات : « أنصرفت الى طلب العلم ، وأنا فى الخامسة عشرة من سنى ، وفى الثلاثين التزمت جادة الفضيلة ، وفى الأربعين لم يكن فى نفسى أى ريب فى حقائق الأشياء ، وعلمت القضاء والقدر وأنا فى الخمسين ، وأصغت أذنى الى كل الحق عارفا فاهما له وأنا فى الستين ، ولم أتجاوز حدود السلوك القويم وأنا فى السبعين » .

٥ — أخذ كونفوشيوس يطوف البلاد داعيا مرشدا ، ومسترشدا ، وكان فى كثير من الأحيان يخص بارشاده الحكام ، معتقدا أن صلاح الراعى يستلزم صلاح الرعية ، وأن حسن قوامته على الناس يتبعه صلاحهم ، ولأنه يرى أن السياسة الحكيمة فى تهذيب الرعية . حتى تقوم المحبة بين الناس مقام القانون . ولقد كان يقول « السياسة هى الاصلاح ، فان جعلت صلاح نفسك أسوة حسنة لرعيتك ، فمن الذى يجترىء على الفساد ؟ » لهذا كان يخص — وهو يطوف مقاطعات الصين — الأمراء بارشاده لأن فى صلاحهم صلاح العامة ، وعليهم يواسى .

وقد عاد بعد تطوافه الى ولايته ، وقد كملت رجولته ، وأنضج الاختبار آراءه ، وصقل تفكيره ، فعين حاكما لاحدى مدنها ، فكانت هذه فرصة قد انتهزها

---

(١) هو صاحب النحلة الصينية التى تعرف فى الصين « بالطاوية » . ولد لوتس قبل كونفوشيوس بأكثر من خمسين سنة . وقد تولى بعض الأعمال ولكنه اعتزل فى آخر حياته وعكف على حياة الزهد والتأمل الفلسفى ، وقد جمعت أحاديثه وآراؤه فى كتاب يسمى « كتاب الأخلاق » وبين فلسفته الخلقية وفلسفة كونفوشيوس خلاف قوى ، فالأول يدعو الى القناعة والزهد والتسامح المطلق ، ومقابلة السيئة بالحسنة ، والثانى يدعو الى طريق لا افراط فيه ولا تفريط ، ومقابلة السيئة بسيئة مثلها ، وسنبين ذلك كله فى أثناء بحثنا .

ليروض الناس على تعاليمه عملا كما راض هو نفسه ، فأخذ أهل هذه المدينة بالسلوك القويم ، وكانت عبقريته فى أن راض الناس على ذلك رغبا لا رهبا ، وبالاختيار لا بالاجبار ، حتى صارت تلك المدينة الفاضلة نموذجا يحاكى ، ومثالا يحتذى ، ولم يستمر ذلك الحكيم مقصورا على المدينة ، بل رفعه أمير المقاطعة الى مرتبة نائب للمقاطعة ، ثم ولاه وزارة العدل ، فكان شأنه فى هذا كشأنه الأول يروض مرءوسيه على الأخلاق ، ويعطيهم من نفسه أسوة حسنة ، فيقتدون به ، واستعان فى أعماله ببعض أصدقائه الذين أشربوا تعاليمه ، ومازجت نفوسهم نفسه ، وفى حكمه ساد السلام ، واطمأن الناس ، وأظلت الفضيلة الجميع ، وكان هذا مثلا صالحا لحكم الفلاسفة ، سبق أحلام أفلاطون وغيره من المثاليين .

٦ — ولكن تلك الحال لم تدم طويلا ، فان رجالا نفسوا على الحكيم تلك المنزلة ، وضاقت صدورهم حرجا من عظيم ما طويت عليه من الحقد ، فزينوا لأمير المدينة أن يخالف ارشاد الفيلسوف ، وقدموا له غصنا من الشجرة التى أغرى ابليس آدم على الأكل منها ، قدموا له غصن اللذة الشهى ، وحسنوا له أن يفك نفسه من القيود ، ويقبل عليها ، ففعل وعصى ارشاد كونفوشيوس فرأى هذا أن أمور الدولة لا تستقيم ، وأميرها غير مستقيم ، لأنه القائل : « ان أخلاق الرؤساء كالريح ، وأخلاق المرءوسين كالعشب ، والى أية جهة هبت الريح مال العشب » .

عندئذ هدد الحكيم الأمير بترك الأمر ان لم يستقم ، فلم يرعو هذا عن غيه ، واستمر سادرا فى شهوته ، فاعتزل الحكم ، وعاد الى التطواف فى الأقاليم الصينية ، لا يقيم فى بلد الا على نية النزوح منه ، وكلما حل على أمير مقاطعة دعاه الى السلوك الفاضل ، فلم يجب أحد منهم دعاءه ، وان أكرم وفادته ، حتى برم بهم ، ولم يكن له عزاء الا تكاثر تلاميذه الذين اعتنقوا آراءه حتى بلغوا ثلاثة آلاف أو يزيدون ، وكلهم قد أشرب روحه ، ومازجت آراؤه نفسه ، وخالطت منها المهجة والفؤاد .

وقد عاد بعد الرحلة الطويلة الى مقاطعة « لو » فأكرم أميرها وفادته ، ولكنه لم يطعه كسائر الأمراء ، فعكف الحكيم على مدارسة أصدقائه . وكانت السن قد تقدمت به ، فقد ذرف السبعين وقد أطرح هموم الدنيا ، ولكن نزل به وهو

فى تلك السن المتقدمة ما حز فى قلبه وقطع نياطه ، فقد مات اثنان ، كلاهما مهجة نفسه ، وقطعة منه ، أما أولهما فوحيده ، فقد أمضت نفسه بموته ، وهو فى هذه السن ، وأما ثانيهما فهو تلميذه الأثير عنده المحبب لديه ، وقد كان قطعة من روحه ونفسه ، واسمه « هووى (١) » فأظلمت الدنيا فى وجهه ، ولكنه لم يقعد عن العمل ، بل أخذ يلخص الكتب القديمة ويرتبها ، وبذلك قد خلد لنفسه عملا آخر جليلا بهذا التلخيص وذاك الترتيب .

هذا موجز لحياة فيلسوف الصين العظيم ، وقد مات بعد أن ترك من تلاميذه الذين أخذوا على عاتقهم بث دعوته فى الأقاليم الصينية ثلاثة آلاف ، وقد نبغ منهم اثنان وسبعون ، وكلهم تعاون فى نشر مذهبه الخلقى فى البلاد ، حتى صار بعد ذلك مذهبا رسميا لتلك البلاد المترامية الأطراف ، واستمر كذلك من آخر القرن الثانى قبل الميلاد الى القرن العشرين بعده .

٧ — عقيدة كونفوشيوس :

تخرج كونفوشيوس على التعاليم الدينية التى كانت سائدة عند الصينيين الأقدمين ، فقد لقنها صغيرا وتلقاها والعود أخضر بالقبول . ولذا أحيا التعاليم الدينية القديمة ، ودون أصولها ولم يتعرض فى دراسته الخاصة لمناقشتها ، ولم يكن له مذهب فيها يدعو اليه ، ويحث الناس على اعتناقه ، بل كل عنايته كانت تقوم على السلوك المستقيم والدعوة اليه ، ولم يكن مدعيا لرسالة ، ولم يكن هو رسولا مبعوثا . بل كان حكيما فيلسوفا يبشر بمذهب الأخلاق ويستمسك أشد الاستمساك به ، وأما عقيدته فهى ما كان يعتقده الصينيون القدماء ولا تزال آثاره فى عقيدة أكثر الصينيين المعاصرين . وأساس هذه العقيدة أنهم يعبدون ثلاثة أشياء : السماء والأرواح المسيطرة على ظواهر الأشياء (الملائكة) وأرواح الآباء .

٨ — أما السماء المعبودة فلا يقصدون بها تلك القبة الزرقاء ، بل يقصدون تلك الأفلاك ومداراتها والقوى المسيطرة التى تسيطر عليها وتسيرها فى مداراتها ،

---

(١) كان هذا تلميذه الفذ ، حتى أنه روى أنه عندما احتضر بكى عليه الحكيم بكاء مرا ، وقد كان يقول فيه أثناء دراسته معه : لقد حدثت « هووى » طول النهار فلم يناقشنى كأنه غبى ، فلما تولى ولاحظت سلوكه وجدته كافيا للتعبير عما دارسته .

وباتصالها بالأرض ، وبالأمطار والرياح وغير ذلك تنبت الأرض من كل زوج بهيج • وكانت عبادتهم للسماء لأنهم يعتقدون أنها عالم حى متحرك حسب نظام دقيق محكم ، وأن كل ما فى العالم من قوى مسيرة انما هو خاضع لسلطان السماء •

وظواهر ما تدل عليه عبارات كتبهم أنهم لا يفرضون قوة مغايرة للعـالم هى المنشئة له والمدبرة لأموره والمسيرة له والمسيطرة على حركاته والواقية له من الفناء والانهيار ، ولأجل أن يستقيم لهم فرضهم بعض الاستقامة ـ وان كان الأساس غير مستقيم ـ يقولون ان العالم فيه جانب مادى وجانب روحى هو القوى ، ومن القوى منفردة أو بائتلاف عدة قوى تحدث ظواهر الأشـياء ويتم التحول المستمر الذى يقدرونه قانونا عاما شاملا والسماء لها السيطرة العليا على القـوى والمادة والأشـياء جميعها • وعلى أية حال فليس عنـدهم منشىء ومنشأ ، بل المنشىء لديهم من ذات المنشأ ، كما كان يسود الفلسفة الأيونية التى كان قوامها العنصر الأول الذى تكونت منه الأشياء •

ومع ذلك هم يؤمنون بالقضاء والقدر ، فيقولون ان كل الحوادث مقدرة فى السماء معروفة ، وقد اختص بعبـادة السماء وتقـديم القرابين لها ملكهم الأكبر ، ولذا يقال عنه انه ابن السماء ، وقد حالت العقيدة وصار كل ملك أو أمير لمقاطعة له حق عبادة السماء كالملك الأكبر •

ومن عقائدهم المتعلقة بذلك أن الملك واجب عليـه بأمر السماء أن يحكم الرعية بالعدل فان قسا وظلم سلطت عليه السماء من رعيته من يخلعه أو يقتله ثم مكنت لغيره من العادلين من يستولى على عرشه • ويحكى أن ملكا استولى على العرش بعد أن انتصر على الملك الذى قبله وقتله ، قال : « أعطى الآله لكل انسان ضميرا اذا اتبعه يحفظه ويقوده الى الطريق السوى ، والاله دائما يبارك الطيب ويعاقب الردىء • ولذلك أنزل المصائب على بيت هشـيا « بيت الملك السابق » كى يضع حدا لآلامه » •

٩ ـ أما عبادتهم القوى المسيطرة على الأشياء ، الموكلة بها ، فلأنهم كانوا يعتقدون أن لكل شىء قوة تسيطر عليه وتسيره ، وهى كثـيرة : فللشمس قوة تسيرها ، وكذلك القمر ، وللسحاب ، والمطر ، والجبال والأنهار ، وكل الكواكب ، والأشياء ، وهذه القوى جميعها يعبدها الصينيون ، وقوى الأرض لا يعبدها

الملوك ، ولكن يعبدها غيرهم • أما القوى الخاصه بكواكب السماء ، وكل ما يكون فيها ، فهى من السماء لا يعبدها الا الملوك •

ومن عقائد الصينيين أن أرواح الأموات تنفصل عنهم بعد موتهم ، وتبقى فى الدنيا مع أسرتهم ، ولذلك يعبدون أرواح الآباء تقديسا لهم ، ووفاء لعهودهم ، وشكرا لهم على ما اسدوا من نعم لأبنائهم ، ويقدمون لهم القرابين •

وعبادات الصينيين غناء ورقص وموسيقى • وكأنهم بهذه الأعمال يشركون آلهتهم معهم فى سرورهم ، وأفراحهم ، وأغانيهم وموسيقاهم •

١٠ — ولم يكن الصينيون القدماء يؤمنون بجنة ولا نار ، ولا عقاب ولا ثواب ، ولقد أخذ كونفوشيوس بكل هذه العقائد ولم يزد عليها ، فلم يؤمن باليوم الآخر ، ولم يفكر فى الحياة بعد الموت ، بل كان كل همه فى اصلاح الحياة الدنيا •

يروى أن أحد تلاميذه سأله عن مآل الأرواح بعد الممات ، فقال :

« لم نقدر على خدمة الأحياء فكيف نقدر على خدمة الأموات ولم نعلم الحياة فكيف نعلم الممات » •

وكان يقدم القرابين ، ويقوم بواجب العبادة التى يقوم بها كل صينى بل كان من الناحية الدينية ساذجا يتشاءم من هزيم الرعد ، ويرتجف ، وترتعد فرائصه عند ما يسمعه ، ويقرأ التعاويذ لطرد الأرواح الشريرة من بيته • وفى الجملة كانت عقيدته ساذجة • وعقله فى هذه الناحية كان عشا للخرافات والأوهام • وفيه موضع لأساطير الأولين التى اكتتبها ، وحفظها ، ولكن عبقريته وقوة ارادته باديتان فى آرائه فى السلوك الانسانى ، والخلق القويم ، ورياضة النفس عليه •

١١ — آراؤه فى الأخلاق : يجدر بنا قبل أن نتكلم على مذهب كونفوشيوس فى الأخلاق أن نبين الظاهرة العامة فى أخلاق الصينيين عامة والأخلاق التى سادت عصره ، والآراء الخلقية التى كانت سائدة قبل زمانه ، لكن نكون على بينة من مدى أقواله ، وما دفع اليها ، وما بعثه على قولها ، وخصوصا أنه

ما ادعى أنه أتى بجديد فى السلوك القديم ، ولكنه أحيا المقبور من آراء سابقيه ، وأخذوا أنفسهم به من أخلاق .

اعتقد الصينيون منذ أقدم عصورهم أن الأحداث الكونية تتبع الأخلاق التى تسود الناس وملوكهم ، فكلما كان الاعتدال والانسجام والفضائل يسودان المعاملة بين الناس ، ويربطان العلاقات بينهم برباط من المودة والرحمة ، فالكون سائر فى فلكه من غير أى اضطراب ، ولكن اذا حاد الانسان عن سمت الحق ، والسلوك القويم الى الفضيلة ، اضطرب بعض ما فى الكون لمخالفة القانون الأخلاقى ، وما الزلازل وخسف الأرض وكسوف الشمس ، وخسوف القمر الا أمارات لفساد خلقى ، أحدث ذلك الاضطراب الكونى ، واذا كان السلوك غير القويم يحدث الاضطراب ، والقحط ، فالسلوك القويم يجلب الخير والبركات ، ويجعل كل ما فى الكون يجىء على رغبة الانسان ، والسبب فى ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن المؤثرات فى الأكوان ترجع الى ثلاثة :

أولها السماء ولها السلطان الأعلى ، وثانيها الأرض لقبولها أحكام السماء ، وثالثها الانسان بما يؤثره بارادته ، فارادته الفضيلة وسلوكه سبيلها يجعل مظاهر الكون الى خير الانسان ، فالجو يمتلىء بالنسيم العليل ، والحرارة المنعشة والغيث المحيى لنبات الأرض من غير أن يخرب العمران .

١٢ — والانسان مفطور على الخير عندهم : سالك الطريق القويم لو خلى وفطرته ، ولكنه مع الفطرة الخيرية حى مستقل مفكر لا تمنع فطرته من النزوع الى الشر وسلوك سبيله ، والارتطام فى حمأته ، وذلك لارادته المستقلة واختياره ، واستيلاء الشهوات عليه ، ومع أنهم كانوا يؤمنون بالقضاء والقدر ويذعنون لأحكام السماء يجعلون للارادة الانسانية الشأن الأول ، وذلك لأن الارادة الانسانية للخير أو للشر لها أثرها فى الأكوان ، ولأن آلهتهم عادلة فزعموا أنها لعدلها تجعل مشيئتها فى الكون على حسب عمل الانسان ان خيرا فخير له ، وان شرا فشر له ، وأن أفعال السماء المسببة لفعل الانسان لا تقبل التخلف قط ، لأنها جزاء ما قدم ، وأما أفعال السماء التى تكون حظا من غير تقدم الانسان بسبب لها فهى تقبل التخفيف بالارادة الانسانية الخيرة أو الشريرة ، وفى هذه الحدود الضيقة كان ايمانهم بالقضاء والقدر .

١٣ — وطريق الخير هو الاعتدال والاقتصاد فى كل أفعال النفس وسجاياها ، فالقناعة مع الجد من غير استسلام فضيلة ، واللين من غير ضعف فضيلة ، والرحمة مع العدل مع المسىء فضيله أيضا ، وكذلك التجمل مع السذاجة وهكذا كل الفضائل ، وأقصى الطرفين من افراط أو تفريط رذيلة ويعدون الفضيلة طريق السعادة والرذيلة طريق الشقاء ، لأنه اذا كانت آلهتهم تغضب وترسل شواظا من نار على من يخالف قانون الأخلاق فالشقاء فى المخالفة والسعادة فى الموافقة ، ولأن الموافقة تجعل النفس متوافقة مع فطرتها منسجمة مع طبيعتها .

والرحمة أخص ما يجب أن يسود الناس من صلات ، فهى الرابطة التى تربط آحاد المجتمع بعضهم ببعض ، وهى التى تجعل الناس متحابين سعداء من غير عنف زاجر ، ولا قانون مشدد ، واذا كانت الفضيلة فى عمومها طريقا لسعادة الآحاد ، فالرحمة التى تسود المجموع هى طريق سعادته ، فالمجتمع السعيد من كانت الرحمة هى الوحدة الرابطة بين آحاده ، وهى العلاقة المبينة حدود ما للانسان وما عليه ، وليست الرحمة عندهم هى العفو المطلق ، والتسامح المطلق ، بل الرحمة التى تسبب السعادة هى الرفق بالمجموع مع معاملة أهل السوء بما يستحقون من غير شطط ولا تفريط . وأما التسامح المطلق ، ولو مع المسىء ، فانه رحمة ظاهرة تخفى فى ثناياها سترا للاجرام ، وذلك ليس من الرحمة فى شىء .

اذن فغاية الفضيلة فى عمومها وخصوصها عندهم الكمال الانسانى ، والسعادة لبنى الانسان ، واقامة بناء المجتمع على التواد والتراحم والتعاطف .

١٤ — وقوانين الأخلاق لا تنفصل عن السياسة عند قدماء الصينيين ، فأقوم الأخلاق ينتج أقوم السياسة ، وأحب أنواع الحكم ، بل ان الحاكم لا يمكن أن يحمل الناس على الجادة من غير أن يحمل نفسه عليها ، وان الملك الذى لا يسوس الناس ونفسه بالأخلاق القويمة ينزل عليه غضب السماء ، وينزع منه الملك كما بينا سابقا ، فلا تسامح فى قانون الأخلاق ولو كان الآثم ملكا ، وبهذا استمر العدل قائما مع وثنيتهم وعدم تدينهم بدين سماوى .

ولم تكن هذه الآراء فلسفة لخواصهم تدرس ، وتناقش أصولها ، ولكنها كانت أعمالا للناس ، كما هى آراء للعلماء ، وبذلك كان مجتمع الصين القديم يسوده الخلق الكامل ردحا من الزمان ، ولكن خلف من بعدهم خلف لم يسلك

طريق الأخلاق ، فحوالى القرن السابع قبل المسيح حكمت الصين أسرة ارتكبت من الظلم والاثم ما أوقع الشعب فى الفوضى والاضطراب ، وجعل حكام الولايات يسيرون فى طريق من الاستبداد برعاياهم لغير مصالحهم والشعب الصينى نفسه انحدر فى طريق الرذيلة والانحلال الخلقى ، واذا تفاقم الشر ، وجمحت النفوس ، وتفشى الداء ، أعمل الفضلاء الجهد ، وأحسوا بعظم التبعة ، لذلك نجم فى آخر القرن السابع والقرن السادس قبل الميلاد عقول جبارة ، ضاعفت الجهود وبذلك أقصى المجهود لكى ترجع الأخلاق الصينية الى غابرها ، وكانت دعوتها وحيا لعبقرية جبارة ، واستنباطا لما استقر فى أعماق القديم ، واحياء للمدفون من كرائم العادات • وكان أبرز هؤلاء لوتس وكونفوشيوس •

١٥ — ظهر كونفوشيوس فى هذا المضطرب بعد لوتس ، بعد أن جرب هذا كل آرائه فى اصلاح المجتمع الصينى ، فلم يفلح الا قليلا ، واضطر لأن يدعو الى الانزواء والفرار الى العزلة لذلك جاء كونفوشيوس محاولا اصلاح ذلك المجتمع بغير لوتس ، وبغير مذهبه • وآراؤه فى الأخلاق تتجه الى ثلاث نواح : الأولى فى بيان الأصل الخلقى الذى تقوم عليه الفضائل ، والثانية اصلاح المجتمع وحمله على السلوك القويم • والثالثة اصلاح نظام الحكم وتقييده بالفضيلة لا يعدوها •

أما الناحية الأولى فهى قوام فلسفته ، وهى الجزء النظرى منها ، وقد ابتدأ نظراته الفلسفية بنظرية تعيين المعنى واللفظ ، وتعيين الأسماء والمسميات ، وهى النظرية التى ابتدأ بها أيضا سقراط من بعد كونفوشيوس وذلك لما تشابهت فيه أحوال العصرين اللذين عاش فيهما الفيلسوفان : فكونفوشيوس جاء فى وسط اضطراب خلقى ، وتلاعب فى نظم الحكم ، وعبث بمصالح الدولة ، واللعب بالألفاظ لتوهين الأخلاق ، فكان لا بد من العمل على تعيين المعانى الدالة على الألفاظ ليتبت المعنى مستقيما ، لكى لا يمكن التلاعب به ، وافساد الاستدلال من طريق ذلك التلاعب ، وكذلك سقراط وجد السوفسطائيين قد اتخذوا من اللعب بالألفاظ طريقا لحل أخلاق الشباب الأثينى وافساد اعتقاده ، والعبث بكل ما هو فاضل لديه ، ولذا كان أول ما دعا اليه سقراط تعيين المعانى الدالة عليها الألفاظ حتى لا يتخذ المفسدون من بريق اللفظ مايفسد الاستدلال والتفكير •

دعا كونفوشيوس الى العنـاية بمعانى الأسماء ، والألفاظ الدالة على المسميات ، وألحف فى تلك الدعوة ليقطع على المضللين سبيل التضليل ، ويفتح الباب ليستقيم طريق المعرفة من غير تمويه ولذا جاء فى كتاب الحوار لكونفوشيوس أن أحد تلاميذه سأله « بأى شىء يبتدىء سياسته ان تولى حكم الامارة ؟ » فقال : « لا بد من تصحيح الأسماء » فدهش التلميذ من هذا الجواب ، ووقع من نفسه موضع العجب • فقال كونفوشيوس : اذا لم تكن الأسماء صحيحة لا يوافق الكلام حقائق الأشـياء ، واذا لم يكن الكلام موافقا للحقائق وقع الخلط فى اللغـة وفسدت الأمور فلا تزهر الآداب ولا الموسيقى ، ويضطرب التفكير ، ولا تنزل العقوبات على من يستحقها ، واذا لم تنزل العقوبات على من يستحقها ، لا تعرف الرعيـة كيف يحركون أيديهم وأرجلهم ولذلك يرى الرجل أن من الضرورى أن توافق الأسماء مسمياتها ليمكن أن يتكلم بهـا • وأن يعمل بما يتكلم ، والرجل الكامل الخلق لا يستهين بكلامه ، ولا يهمل فى تعبيره » •

وعنايته بتعيين الألفـاظ جزء من عنايته بأن يكون الشخص الكامل على تمام المعرفة بنفسه وبحقائق الأشـياء ، فهو يحث على المعرفة الصحيحة ، ويعتبرها جزءا غير قابل للانفصام من منهاجه الخلقى فيعتبر من كمال الفضيلة للرجل حسن ادراكه للأمور ، وقدرته على فهم ما يلقى بين يديه من المسائل من غير أن يدفعه الغرور الى الضلال • ثم هو يدعو الى التفكير القويم فى كل ما يلقاه الانسان ويرى شرطا لازما للتفكير أن تكون عند الشخص قبل التفكير مقدمات كافية لأن يفكر ، والتفكير لا بد منه لكل معرفة ، ولذا يقول « من تعلم من غير تفكير وتدبر فهـو فى حيرة ، ومن فكر من غير تعلم فهـو على خطر الضلال » ويرى أن طريق العلم ألا يقيس الغائب على الشاهد لأنه تخمين ، ولا يجرى الحدس والتخمين فيما لا يعلم • لأن الظن لا يغنى من الحق شيئا ، ولذلك يقول لأحد تلاميذه : « ألا أعلمك طريق العلم ؟ اعتبر ما علمت معلوما • واعتبر ما جهلت مجهولا ، هذا طريق العلم » • ولا تظن أنه يقصر الفضـيلة على المعرفة بل أنه يرى أن المعرفة من طريق الفضيلة ، وليست هى الفضيلة ، كما يقول سقراط • بل هو يقول : « من يعلم الحق دون من يولع بطلبه ، ومن يولع بطلبه دون من يطمئن اليه دائما » فالمراتب عنده ثلاث :

(١) معرفة للحق مجردة (٢) وشوق الى الحق ومحبة له (٣) وعمل به وارتياح النفس الى العمل به ، مهما يكتنفها فى العمل به من صعاب وشدائد ثم يقسم الناس للمعرفة الى أربع درجات : الدرجة الأولى درجة رجل وهبته السماء المعرفة ، وأوتى الالهام ، وهى أعلى الدرجات ، والثانية درجة رجل لم

يؤت الهاما ولكن فيه ذكاء ، فتعلم ووصل الى أقصى ما يتعلمه من لم يؤت الهاما . والدرجة الثالثة درجة الرجل الذى لم يؤت ذكاء ، بل فيه غباء ، ويطلب المعرفة ، وينال منها بمقدار طاقته ، والدرجة الدنيا وهى الدرك الأسفل . رجل حائر بائر فيه غباء وبلادة فلم يعرف ولم يحاول معرفة .

١٦ — وان معرفة الانسان لا يمكنها أن تصل الى الغايات من الأشياء بل أقصى مايمكن أن تصل اليه هو معرفة ما يمكن أن تعرفه ، وهو النواميس والقوانين التى تسير الأكوان على مقتضاها ، فان العالم فى نظره محكوم بقوانين لا تقبل التخلف ، قوامها التآلف والانسجام بين أجزائه ، فالسماء والأرض والانسان قد ارتبط ثلاثتها بنظام محكم وبقوانين مؤلفة بينها ، وأن ذلك النظام قد يمكن أن يعرفه الانسان ، ولا يمكن أن يعرف علته الغائية ، ولا مبعثه ، ودوافعه ، وان الشر كل الشر أن يكون فى تصرفات الانسان مايحيد به عن النظام المؤتلف بين الانسان والأكوان ، وذلك بأن يرتكب من الشر ما يكون سببا فى أن تنزل السماء عذابا ، ولذلك يقول فى الحوار : « لو ارتكبت ما لا يليق غضبت السماء » .

ولذلك كان تحلى الانسان بالفضيلة ، هو الذى يجعله مؤتلفا مع نظام السموات والأرض ، ولأن العالم يسير بنظام وقوانين محكمة ، كانت طبيعة الانسان وفطرته الى الخير لكى يكون النظام هو السائد ، ولذلك يقول كونفوشيوس كما كان يعتقد من سبقه من حكماء الصين وفلاسفته ان النزوع الى الخير والفضيلة طبعى فطرى فى الانسان ، فليست الفطرة الانسانية ميالة الى الشر نزاعة اليه ، بل انها خيرة ، ولكن للارادة المستقلة التى منحها الانسان ، وللشهوات واللذات التى يمكن استحواذها عليه يشذ عن داعى الفطرة ونداء الطبيعة ويتجه الى الشر ، ويفعل ما ينزل به غضب السماء فى زعمهم ، ففى النفس ينابيع صافية المواد للخير ، وفيها استعداد للشر أن عرض لها عارض من اللذات والشهوات ، فالأصل للنفس الخير والشر عارض ، واذا كانت النفس فى أصل فطرتها الخير ، والشر انحراف عن الفطرة ، فالحكم اذن من عمل على احياء الفضيلة بتنمية قوى النفس الخيرة وتصفية ينابيعها من كدور اللذة ، واعتكار الشهوات ، فان النفس كصفحة الماء الصافية المستوية واللذات كالأحجار تقدف فيها فتحدث فيها اضطرابا ، وتثير فيها اعتكارا .

١٧ — واذا كانت الفضيلة من دواعى الفطرة السليمة فطلبها من كمال الانسانية ، اذ رغبة الخير فطرية فيه . وعلى ذلك يطلب الانسان الفضيلة

لا رجاء منفعة ، ولا دفعا لمضرة ، ولا جلبا للذة ، ولا دفعا لحرمان ، ولكن يطلبها لأنها كمال انسانى ، فهو يقول فى الفصل الرابع من كتاب الحوار (١) « الرجل الكامل الخلق يطلب الفضيلة ، والرجل الناقص الخلق يطلب اللذة ، والرجل الكامل الخلق يفكر فى اجتناب الرذيلة وأداء الواجب ، والرجل الناقص يفكر فى كسب المنافع ••• والرجل الكامل الخلق واقف على البر ، والرجل الناقص الخلق واقف على الريح » •

فالفضيلة عنده لا تطلب لما فيها من لذات ، ولكن تطلب لأنها كمال الانسان ولأنها الفطرة السليمة ، والطريقة التى بها يتم التآلف والانسجام بين الانسان والعالم واذا تمسك الشخص بالفضيلة وابتعد عن الانحراف عن سبيلها ، وتجنب الخضوع للملاذ ، سهل عليه كل صعب ، وهان عليه كل شاق ، وان رياضة النفس على الفضيلة ، تجعل الشخص يحتمل الفقر والغنى فان افتقر لم يهن ، وان غنى لم يطغ ولم يأشر ، ولذا يقول فى كتاب الحوار « الرجل غير الفاضل لا يستطيع أن يبقى فى الفاقة أو الثروة طويلا ، أما ذو الفضيلة فهو مستريح من فضيلته ، حريص عليها » •

وان كانت الفضيلة لا تطلب الا لأنها السنة ، والانسجام ، وتزكية النفس الانسانية ، فمن ثمراتها الراحة ، والاستهانة بالآلام ولذا يقول : «ذو الفضيلة يستبشر بالماء الجارى ، وذو الفضيلة يستبشر بالجبل الراسى ، وذو الفضيلة نشيط ، ورزين ، ومعمر » فالفضيلة عنده روضة فيها الراح والريحان ، والسر والاطمئنان أما ذو الرذيلة فهو فى شقاء وبلبال مستمر ، وينزل عليه غضب السماء جزاء ما قدمت يداه واقترفت نفسه ، ولذا يقول : « يولد الانسان مستقيما فمن فقد الاستقامة واستمر حيا ، فنجاته من الموت من حسن خظه » •

---

(١) يوازن العلماء بين رأى كانت الالمانى فى العصر الحديث ، ورأى كونفوشيوس الصينى الذى عاش قبل الميلاد بأكثر من خمسة قرون فيجدون توافقا بين رأى الحكمين فى الأخلاق ، فكانت يقرر ان ينبوع الخير فى الانسان بمقتضى الفطرة، لأن الانسان يجد فى نفسه دائما أن فعل ما لا يليق ولا يرتكب جريمة شاعرا بها الا على نية الا يعاودها ، والشعور القوى الذى يكون فى نفس كل انسان بأن يتجنب السلوك الذى لو سلكه كل الناس فسد المجتمع •

١٨ — ولكن الفطرة قد يغالطها الانسان ، فيزعم أنه سائر على مقتضاها مؤد للواجب سالك سبيله ، وهو يجرع من اللذات والشـهوات فكيف يأمن الشخص هذا العثار ؟ وكيف يطمئن الى أن ما يسلكه هو موجب الفطرة ، وهو الفضيلة ؟ قد عالج كونفوشيوس هذه الحال ويفهم من حواره مع تلاميذه ومن مجموع آثاره أنه يوجب على الشخص أن يراقب نفسه ويلاحظ البواعث التى تبعثه على الأعمال ، فان كانت هى المنفعة الشخصية أو اللذة فهو قد حاد عن السنة . وان كان الدافع الاخلاص والحق فى ذاته فهو الفطرة ، وهو السنة ، وهو الصراط المستقيم ، والسلوك القـويم ، ولذلك يقول عنـد الحكم على الأشخاص أهم الى هدى أم الى ضلال : « انظر الى أعمال الناس ، ولاحظ مواعثها ، وراقب ما اليه يستريحون فأين يخفى الناس سرائرهم !! أين يخفى الناس سرائرهم !! » اذا كانت ملاحظة الدوافع سهلة على الشخص اذا كانت فى غيره ، فكيف يصعب عليـه أن يلاحظ دوافعـه ؟ ثم هذه الملاحظة تدفع الفيلسوف الكبير الى أن يدعو الشخص الى التأمل النفسى ، ومراقبة وجدانه ، لتستيقظ نفسه اللوامة ، وتحاسبه على ما يقدم عليه من عمل ، ويكون من نفسه رقيب عليه شديد المراقبة ، قوى الحس ، صادق الحساب ، لا يترك صـغيرة ولا كبيرة الا أحصاها .

ولقد قال أحد تلاميذه : « أراقب نفسى وأسـألها كل يوم : هل خانت عند ما تولت شئون الناس ؟ هل كذبت عند ما عاملت ؟ هل كانت غافلة عن العمل بما تلقته من العلوم ؟ »

بهذه المراقبة الشديدة يأمن الرجل أن يحيد عن الفطرة . وأخشى ما يخشاه كونفوشيوس على الفطرة اللذات من أن تطمس نورها وهداها ، ولذا كان يحث على الخشونة فى العيش لكى تكون اللذات أمة للشخص ولا تكون سيدا مسيطرا عليه . ويرى أن تعود ترك اللذات مما يساعد على اتباع الفطرة الخيرة ولذلك يقول : « اذا عزم المتعلم على طلب الطريقة الموافقة للفطرة السليمة وهو يأبى الملبس الخلق ، والمطعم الخشن فهو غير خليق بأن يحاضر » .

وان تلك المراقبـة النفسية وتعود النفس خشن الحياة والسيطرة على اللذات والشهوات أول ثمراتها التمسك بالفضيلة والتمسك بالآداب ، وأول ثمار التمسك بالآداب حسن المعاملة وحسن العشرة مع غيره من الناس ولذا يقول :

« ثمرة الآداب حسن العشرة ، وانما تحسن سنة السلف الصالح لاشتمالها على هذه الصفة التى تراعى فى جميع الشئون صغيرها وكبيرها ، ولكن لو روعى حسن المعاشرة من غير أن يضبط بالفضيلة ما استقامت الأمور » .

فهو يرى أن المظهر الحسى للفضيلة حسن المعاملة والمعاشرة المقيد بقيودها ، ومن هنا نرى أن آراءه فى الأخلاق تبتدىء من الفرد . وتنتقل الى اصلاح الجماعة بأن يكون الأفراد جميعا مقيدين أنفسهم بالفضيلة بحيث يجعل كل شخص من نفسه دافعا الفضيلة يبعثه على أن يعامل غيره معاملة مقيدة بالأخلاق الفاضلة ، فلا يظلم ، ولا يتعصب ولا يغلب رغباته ، ولا يجعل من نفسه مغلبا على الآخرين . ولذا جاء فى كلامه « الرجل الفاضل لا يتحيز . والرجل الفاضل لا يتعصب » وهذه كلها آراء لو تمسك كل واحد بها لقامت جماعة فاضلة يرتبط آحادها بالخلق القويم من غير منافسة ، ولا مغالبة ، ولا تناحر .

١٩ — نرجو بهذه الكلمات أن نكون قد بينا فلسفة كونفوشيوس الخلقية ولننتقل الى الناحية الثانية من نواحى آرائه ، وهى محاولته اصلاح المجتمع . ومما تقدم نرى أن اصلاح المجتمع فى نظره غير عسير بل غير متعذر وذلك أن يتمسك كل آحاده بقانون الأخلاق ، ولكن كيف السبيل الى حمل العامة على التمسك بقوانين الأخلاق ؟ يرى ذلك غير عسير ، ولا بد من عاملين أحدهما دعوة الرجل الى الأخلاق ، وانغماره فى الناس ، وثانيهما جعل القائمين بشؤون الحكم متمسكين بقوانين الأخلاق . ولنترك العنصر الثانى الى موضعه من الكلام على الناحية السياسية فى آرائه الخلقية ، أما دعايته الى الأخلاق الفاضلة فقد سلك فيها ثلاثة مسالك .

المسلك الأول : أنه دعا الى احترام الآباء ، والعناية بشدة الى تماسك الأسرة ، ولذا ترى فى كتبه عبارات كثيرة فى الدعوة الى احترام الآباء وجعل ذلك أساسا من أسس الكمال فى نظره ، فهو يقول : « واجب الولد البر بأبويه اذا كان داخل المنزل ، والاحترام لذوى الأنسان اذا كان خارجه ، والصدق فى أقواله ، والرحمة بالناس فى كل أفعاله ، وأن يتقرب الى الفضلاء ، واذا كان لديه فراغ من الوقت زجاه فى كتب الأخلاق » ولا شك أن الشخص اذا

عنى بالبر بالوالدين العنـاية الكافية لم يكن منـه فى حضرتهما الا ما يليق بالرجل الكامل •

فملازمتهما مع العنـاية بالتجمل بالكمال فىحضرتهما أمدا طويلا يجعل الشخص يعتاد الفضيلة والسلوك الحسن ، ولعل هذا هو السر فى أن الاباحيـة اذا سادت زمنا من الأزمان صحبها انحلال الأسرة ، وفك عقدة الاحترام التى بين الآباء والأبناء •

المسلك الثانى : من مسالكه فى الدعوة الى الفضيلة مسلك التدرج فهو كان يدعو الى الأخلاق فى رفق ، ويعطى كل واحد من الناس مقـدار طاقته فى دعوته ، فهو يقول : « ومن الناس من نستطيع محادثته فى العلم ، ولا يمكن أن نحمله على السير معنا بمقتضى الفطرة ، ومنهم من نستطيع أن نسير بهم على الفطرة من غير أن يكونوا ذوى قدم ثابتة فيها ، ومنهم من يكون ذا خلق قويم شديد التمسك بالفطرة والكمال الانسانى ؛ ولكن لا يمكننا مشاورته فى تقدير الشئون » •

فهـذه الطبقات فى استعدادها لقانونه الخلقىكل طبقـة لها حظ من الاصلاح تعالج به ، وتحمل على سلوك الجادة بمعالجته ، وقد حكى عنه أحد تلاميذه الذين لازموه أشد الملازمة أنه كان يرشد الناس بالتدريج ارشـادا حسنا ، ولننقل كلام ذلك التلميذ المخلص فهو يقول فى وصف آراء أسـتاذه وأثرها فى نفسه « اذا رفعت الى آراء الأستاذ النظر رأيتها أعلى مما كنت أعتقد ، وهى ملء نفسى ، وتحيط بى ، وتستغرق كل حسى ، والأستاذ يرشد الناس بالتدريج ارشادا حسنا ، وقد وسع بالعلوم مجال فكرى ، وضبط بالآداب سلوكى ، حتى أنى لو رغبت فى ترك آرائه ما طاوعتنى نفسى » •

المسلك الثالث : من مسالك دعوته الى الخلق القويم القدوة والأسوة ، فهو يرى أن الرجل الفاضل يستطيع أن يؤثر بسلوكه القويم أكثر من أى بيـان مهما تكن بلاغته ، ومن غير أن يتهم بالرياء فى دعوته ، ولقد كان يدعو تلاميذه الى السلوك الخلقى بأخلاقه ، كما دعاهم بكلماته ، فهو الذى يقـول لهم : « أتظنون أنى أخفى عليكم شيئا ، ما من أمر أعمله الا فيه ارشادكم ، وهذه هى طريقتى فى التربية » •

٢٠ — كان اذن من مذهب كونفوشيوس أن يختلط بالنـاس ليصلحهم وليس من مذهبـه أن يعتزل الناس وينقطع عنهم ، ولذا جاء فى كتـاب الحوار « لا يمكن أن أعاشر الطيور والوحوش ، فلو لم أعاشر هذه الأمة ، فمن الذى أعاشره ؟ لو كانت البلاد تحت سيادة عادلة ما كنت فى حاجة الى محاولة لاعادة نظامها » •

وهنـا يفترق نظر كونفوشيوس عن نظر الفيلسوف « لوتس » صاحب مذهب الطـاوية • فنرى لوتس بعـد أن جرب وخالط الناس ، وحلب الدهر أشطره • وعرف حلوه ومره ، انتهى الى أن صار يرى أن الخير ليس فى محاولة اصـلاح المجتمع الفاسد بالعمل والنشاط والدعوة ، بل الخير كل الخير فى الزهادة والاعتزال ، فلما التقى به كونفوشيوس ، وهو شاب متفتح الآمال ، مزدهر النفس ، وحاوره قال الشاب للشيخ : اذا كان واجب كل شخص من آحاد الأمة أن يعتزل فى كهف من الكهوف ، فمن الذى يبقى فى المدن يعمرها ، وفى الأرض يفلحها ويزرعها ، وفى الصنائع يمهر فيها ، ومن الذى ينسل ويعمل ليبقى الكون عامرا ببنى الانسان ؟ واذا كان الاعتزال مقصورا على الحكماء والفضلاء فمن الذى يربى الانسان ويؤدبه ؟ أم يترك الناس حائرين بائرين لا هادي ولا مرشد » •

لذلك يتجه كونفوشيوس الى الجماعات يصلحها ، ويؤدبهـا ، ويعظها ، ولا يعتزل ويترك الناس فى غيهم يعمهون • ولم تكن هذه النقطة وحدها هى التى افترق عندها الحكيمان ، بل تخالفا فى أساس آخر من أسس المعاملة بين الناس ، وهى جزاء السيئة أهو سيئة مثلها أم عفو وتسامح ؟ يرى لوتس أن الصفح والعفو هو ما يجب أن يعامل به المسىء ، أما كونفوشيوس فيرى أن المسىء يعامل بالعدل وليس من العدل العفو عن سيئته ، بل أخذه بجريرة عمله ، فالمسىء لا يعفى عنه ، ولكن يعدل معه لا يظلم ولا يظلم •

٢١ — ولنترك الآن محاولته أن يصلح الأخلاق بشخصه من غير أن يستعين بسلطان الحكم ، ولننتقل الى الناحية الثانية من النواحى الخلقية ، وهى آراؤه فى السياسة ، ولا نقصد بآرائه السياسية ما يجرى به العرف الآن من الآراء فى أصـل نظام الحكم ، ولون النظام أهو ديمقراطى أم ارستقراطى أم حكم الفرد ، ولا بيان توزيع السلطات فى الدولة ، واختصاص كل سلطة فتلك أمور

لا تعنيه ولكن الذى يعنيه هو مقدار القسط الذى يقوم به الساسة من اصلاح فى الأخلاق ، وما يجب أن يتبعوه ليكون حكمهم صالحا للوصول الى الغاية منه : وهى اصلاح أخلاق العامة ، وما يجب أن يتصف به الحاكم من أوصاف ويتحلى به من أخلاق وما يصح أن يكون موصلا لتولى المناصب ، ثم الأوصاف العامة للحكومة الصالحة للقيام بهذه المهمة الخلقية ، وواجب الحكماء عند تنكب السبيل ، هذا ما يعنى به كونفوشيوس وما نشير الى آرائه فى هذه الالمامة الموجزة •

يرى كونفوشيوس أن السياسة الحكيمة هى ما تقوم على الأخلاق القويمة ، فليست السياسة بمنفصلة عن الأخلاق ، ومن فصل الأخلاق عن السياسة فهو لم يفهم الغاية من السياسة ، ولا الغاية من الأخلاق فى نظر كونفوشيوس ، ان الغاية السامية من السياسة هى اصلاح الأخلاق ، وقد يكون من واجب الدولة أن تعنى بتوفير الخبز للعامة ، وأن تعنى بالقيام على الميزانية ، وتنظيم دخلها وخرجها ، ولكن الغاية السامية أو الواجب الأمثل هو فى اصلاح أخلاق الناس وتهذيبهم ، وليس السياسى المستقيم من يستطيع أن يحكم بالعدل والانصاف فقط بل السياسى حقا من يستطيع أن يهذب الرعية حتى لا يكون ظلم ، ولذا يقول : « انى فى الفصل بين المتخاصمين كغيرى من الناس ، ولكن السياسة الحكيمة أن تهذب الرعية ، حتى لا تكون مخاصمة » •

٢٢ ــ ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟ لقد رام صعبا وطلب عسيرا ، هذا ما يبدو لنا ، أما هو فيرى أن الأمر ليس من العسير بالقدر الذى يلقى اليأس فى قلب الحكيم الطالب للاصلاح الذى يسلك سبيله ، فهو يرى أن الملوك والقادة فى السياسة يؤثرون بأخلاقهم أكثر مما يؤثرون بقوانينهم ، فهو يعتقد اعتقادا جازما أن العامة يسيرون على أخلاق حكامهم ، فان كان حكامهم صالحين صلحوا وان كانوا معوجين فسدوا ، ولذلك يجعل أساس اصلاح أخلاق الناس أن يكون حكامهم ذوى أخلاق ، فهو يقول فى قوة وايمان بما يقول « ان الحاكم اذا شغف بالآداب الفاضلة لا يجترىء أحد من رعيته على اهانة غيره ، واذا شغف بالصدق لا يجترىء أحد على الكذب ، ومن هذه حاله أقبل عليه الناس حاملين أولادهم على ظهورهم » •

فاقتداء الناس بحكامهم الصالحين هو الطريق الأول لتهذيب الناس ، وهو لا يعتقد ان تحلى الحكام بالأخلاق الفاضله اساس اصلاح العامه فقط • بل اساس طاعتهم ايضا ، فان الناس لا يطيعون الا من يرون فيه الاستقامه والمحافظه على الاداب العمه ، فهو يقول : « ان كان سلوك الرئيس مستقيما اطاعه المرءوسون من غير ان يأمرهم ، وان كان غير مستقيم لم يطيعوه ولو امرهم ، هو لهذا لا يهمهم ان الطاعه بالأحكام الرادعه ، والقوانين الزاجرة ، والاوامر القاسية ، انما الطاعه فى نظره ما كانت عن رغبة النفس ، واقتناعها بان الحق فيما تأمر به وتدعى اليه ، وليست اجابه الأمر مكرهه نقى المجيب وهو يحاول التخلص من تانيب الضمير ، ولذلك يرى أن قيادة النفس بالآداب والأسوة الحسنة هى التى تتبعها الطاعة التى لا يحاول الشخص فيها العصيان الا وتأنيب الضمير يرصده ، فهو يقول « الرعيه اذا قدتها بالأحكام الصارمة والعقـوبات الزاجرة فستحاول التخلص منها • وهى غـير مستحيية من مخالفتها، واذا قدتهـا بالفضـائل وأصلحتها بالآداب تسـتحيى من ارتكاب الجرائم وهى صالحة » •

٣٣ ــ ثم ان أول الأسس التى يجب أن يعتمد الحاكم عليها ثقة الرعية به ونيله محبتها ، فيجب أن يعمل على نيه هذه الثقة ، واجتذاب الجماهير لتجد أوامره اجابة من القلوب ولا تجد مظهرا من الخضوع ، ولذلك يوصى الحكام بالعناية بهذه الثقـة الى درجة أنه يرى أن العمل لها يكون قبل العمل لقوت الناس أو الاعداد للحروب ، لأنها أساس قوة الحكم ، وهو من غيرها قسر وارهاب وارهاق وعنت يولد الخوف •

وان أطاع الناس رهبـة وخوفا انقطع الحبـل الموصول بين الحاكم والمحكوم ، فتضطرب الأمور وتهزع الأخلاق وتفسـد النفوس • سـأله احد تلاميذه عن ضرورات السياسة فقال : « من ضروريات السياسة الأقوات الكافية وذخائر الحرب الواقية ، وثقة الرعية » •

فقال التلميذ : « لو اضطررنا الى حذف واحد من هذه الثـلاثة فبأيها تبتدىء بالحذف ؟ قال : « احذفوا ذخائر الحرب » قال : « لو اضطررنا الى حذف أحد هذين الأمرين فأيهما نحذف ؟ وأيهما نبقى ؟ »

قال : « احذفوا الأقوات ، فان الموت حظ الانسان منذ الغابر من الأزمان ، ولكن السياسة لا تقوم الا بثقة الرعية » •

وإذا كانت ثقة المحكومين أساس الحكم ، فالواجب الأول على الحاكم لكى يقوم بواجبه الخلقى على الوجه الصحيح ان يجتهد فى العمل على جلب هذه الثقه ، ولا شك ان أخذه هو بمبادىء الأخلاق أساس لجذب ثقه الناس اليه ، والقرب من الناس والتدانى مع الاحتشام والتجمل والوقار كذلك فلا يجعل هوة بينه وبينهم ، و لايتبذل معهم فى قول أو عمل ، ويرى أن الشفقة بالناس اساس من اسس الثقه وداع من دواعى الاخلاص للحاكم •

ساله أحلا تلاميذه قائلا : « وكيف يجعل الحاكم رعيته يجلونه ويثقون به مخلصين ويتواصون بالخير فيما بينهم ؟ » فقال مجيبا : « اذا قابلهم بالسمت والوقار اجلوه • واذا كان بارا بوالديه شفيقا على قومه أخلصوا له ، واذا رفع الصالحين واعان العاجزين تواصوا بالخير » •

٢٤ — وان من اشد الامور لزوما لجذب ثقة الناس والوصول الى الغاية الساميه من السياسه ، وهى التهذيب أن يولى الحاكم الصالحين فاذا كان « كونفوشيوس » يرى أن أولى طرائق تهذيب الناس ، وحملهم على السير على الجادة الاقتداء بالحاكم فى سلوكه القويم ولذا أوجب أن يكون سلوكه على سمت الأخلاق ، وكذلك يجب أن يكون أعوانه من هذا القبيل فد يولى الا الصالحين ، وينزع الولاية من الطالحين ولا يدنيهم اليه ، فان ادناءهم منه مضعف للثقة به • ولقد سأله أمير مقاطعته قائلا : « كيف تكتسب طاعة الرعية ؟ » فأجابه بقوله : « اذا أعلى الصالحون وأبعد الطالحون أطاعت الرعية واذا أقصى الصالحون ، وأدنى الطالحون عصت الرعية » فولاية أهل الصلاح فى نظره تجذب الناس الى الثقة بالحاكم ، وتحملهم على طاعته ، وتساعد الحاكمين على الوصول الى غايتهم السامية من تهذيب الأخلاق ، ولذا كان يقول : لو تداولت أيدى الصالحين شئون الدولة لمدة قرن واحد لتهذب الظالمون جميعا ، ولاستغنى الحاكم عن عقوبة الاعدام •

ولأنه يرى أن تولى الصالحين يعين الحاكم على تنفيذ مهمته الخلقية يستحسن لذوى الأخلاق والصلاح أن يتولوا مناصب الدولة ويطلبوها ان كان

الحاكم عادلا . لان من يتولى المنصب من قبله يعينه على العدل ، بل ان تقديم الحدمة فى ذلك الوقت فريضة لازمة على اهل الصلاح ، ولذا يقول فى قوة :

« امن بالحق ، واحب العلم ، واتبع الفطرة ، ولا تقم فى مملكة سادتها الفوضى ، واطلب المنصب اذا كانت البلاد محكومة بسياسة حكيمة ، واعتزل اذا كانت تحت سياسة غاشمة ، فمن العار ان تفتقر وتبتعد ، والبلاد تحت سياسة عادلة ، ومن العار أن تغنى وتعتز والبلاد تحت سياسة غاشمة » .

وان كان طلب المنصب لازما على من هو اهل له انتعين فمن الواجب قبله ان يعنى الرجل بتاهيل نفسه له ، فليس الغرض ان يتولى ليستمتع بسلطان الحكم ، وجاه المنصب ، بل الغرض ان يصلح ويعين على الاصلاح ، فهو لا يطلب المنصب ، لأنه رغبه يؤلمه الحرمان منها ، بل يطلبه لأنه تكليف اذا توفرت المؤهلات له ولذا يقول .

« لا يكن همك أن تتولى المنصب ، بل ليكن همك ما يؤهلك لهذا المنصب ، ولا تهتم بجهل قدرك ، بل اهتم بالفضل الذى تريد أن يعرفوك به » ثم انه يوجب على طالب المنصب ألا يجعل عنايته موجهة الى مقدار المرتب من المال ولكن ليجعل عنايته فى القيام بالواجب لذات الواجب . ولذا يقول :

« من يخدم الأمراء فليجعل العناية بأداء الواجب فى المحل الأول ، وأمر الراتب فى المحل الثانى » .

فالاخلاص للواجب هو الأمر الذى يجب أن يعنى به صاحب المنصب . ذكر أحد تلاميذه أن وزيرا من الوزراء تولى رياسة الوزارة ثلاث مرات ، فلم يظهر على وجهه أمارة الابتهاج فى واحدة منها واستقال ثلاث مرات ، فلم يبد فى واحدة منها على وجهه الاكتئاب بل كان يخبر الوزير الجديد بجميع ما حصل فى شئون الدولة فى عهده ، فقال كونفوشيوس « قد كان مخلصا » فالاخلاص على ذلك فى نظره يجعل طالب المنصب يطلبه لأنه واجب من غير أن يطير فرحا لأبهة الحكم ، ويتركه لعجزه عن أداء الواجب من أن يمضه الألم لفقده جاه السلطان ، فالمنصب توليه واجب لذوى الأهلية له ، ليس فيه مغنم

للمخلص ، ولا فى فقده مغرم ، لا يطلب للشهرة ولا يشعر المخلص عند تركه بمضاضة الحرمان •

وبينا هو يرى أن الفضلاء ان سعوا للمناصب فى الحكومة الفاضلة ، فقد سعوا فيما هو حق وواجب ، يرى أن الواجب على الصالحين أن يعتزلوا المنصب ان كانت الحكومة غير صالحة ، وعجزوا عن اصلاحها لشهوات استمكنت فى رءوس من هم أعلى منهم ، وتعذر عليهم حملهم على الدرب وقد اعتزل هو منصبه لما رأى أن أمير المقاطعة قد استولت عليه الشهوات واستحوذت على بصيرته ، ولما ناقشه تلاميذه فى اعتزاله مناصب الدولة قال لهم : « لماذا يهمكم أن يفقد أستاذكم منصبه !! ان البلاد قد خلت من العدل والاستقامة من زمن بعيد ، وستتخذ السماء أستاذكم ناقوسا لها •

٢٥ — واذا كانت الحكومة مستقيمة وهى التى يكون الحكم فيها على مقتضى قانون الأخلاق كان من آثارها أن تكون الأمة قوية شجاعة مهما أحاط بها من أسباب الضعف ، ومهما يكن بها من فقر فهو يرى أن الفضيلة تجعل النفس عامرة بالشجاعة ممتلئة بالقوة مطمئنة الى الغاية وهو يرى هذا الرأى واثقا به ولم يكن قد رآه عن حدس وتخمين وتخيل جميل بل قد رآه عن خبرة وتجربة •

ومجمل ما يقال فى سياسة هذا الحكيم أنها الأخلاق الفاضلة فهى عدة الحكام وعنادهم وهى غايتهم ومرتجاهم وهى المطمح الأسمى وهى البذرة الصالحة يلقيها الحاكم فى أمته فتنبت أزكى النبات وتثمر أطيب الثمرات • وما كان هو الا نموذجا للحاكم الصالح ، حكم فلم يخالف حكمه آراءه ولم يباعد السلطان بينه وبين كلماته • ولقد قال فيه أحد تلاميذه : « ان رتبة الأستاذ « كونفوشيوس » لا يمكن أن يصل اليها أحد كما أن السماء لا يمكن أن يصعد اليها أحد ، لو كان للأستاذ حظ من الامارة أو الرياسة لصدق عليه قول القائل . ان أقام الرعية قاموا سراعا وان هداهم سارعوا وان أراحهم آووا منه الى ظل وارف وان عاش عاش جليلا وان مات لقيت بموته النفوس حسرات فكيف يمكن أن يصل الى رتبته غيره !! » •

٢٦ — هذا هو الفيلسوف الحكيم الذى لاتزال الصين تجله على اختلاف مللها ونحلها ، وهذه اشارة موجزة الى آرائه الخلقية التى لاتزال فى الصين

نبراسا يهتدى به الكثرة الغالبـة فيهم ، ويجدر بنا أن نقول ان ذلك الحكيم لم تكن عنايته الكبرى متجهة الى تأليف كتب ، ولكن عنايته كانت متجهة الى تكوين نفوس ، والى تربية طائفة من التلاميذ يكونون نواة لتربية جيل ، وبذلك تتوارث آراءه الأجيال ، وجدتها لا تبلى لأنها تجد غذاء من نفوس الناس •

ولقد دون تلاميذه آراءه ، ومنها بين أيدينا كتاب الحوار ترجمة من الصينية الى العربية صديقنا الأستاذ محمد مكين • وهو روضة ناضرة الأزهار يرى فيها القارىء صورة صادقة لآراء كونفوشيوس الخلقية والسياسية ويستشف من ثناياه روح العطف بين الأستاذ والتلميذ اذ يرى فيهم أسرة شريفة لم تجمعها لحمة نسب أو صلة ، ولكن جمعتها لحمة علم وعاطفة رحمة •

ولكونفوشيوس مؤلفات أخرى ألفها هو ، وهى تلخيصات وشروح للكتب المقدسه القديمة التى نسخها وشرحها وعلق عليها احياء لآداب القـدماء من الصـينيين ، وقـد كانت شروحه وتعليقاته متضمنة منهجه وآراءه فى الدين والأخلاق ، والسلوك القويم •

وثنيـــة اليـــونان

١ ـ اليونان الأقدمون كانوا يؤلهون ظواهر الطبيعة ويعبدونها ، كمـا فعل المصريون من قبل ، وذلك ظاهر فى آلهتهم الأولى ، فانهم ألهوا السماء ، والأرض والبحر ، والشمس ، والزمن ، ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحـد ، بل لحظوا بعد ذلك الصفات الأدبية فى الأحياء ، وفنونهم وما يؤثر فيهم فجعلوا لكل واحد منها الها أو الهة . ومن هذه الآلهة هيرا ربة القوة المنتجة فى الطبيعة وآريس أو المريخ اله الحرب وأبولون اله الموسيقى والنور ، وهراميس رسول الآلهة ورب الفصاحة والبيان ، وأثينا ربة الحكمة وأفروديت ربة الحب الجميل وديونيسوس رب الخمر والتمثيل « لتيراجينى » أو المحزن .

٢ ـ وكان لكل مدينة أربابها الخاصة بهـا ، ومعبودات لها كثيرة ، وان اتحدت فى الاسم مع أرباب المدينة الأخرى فالمسمى يختلف ، فأبولون فى مدينة ليس هو أبولون فى مدينة أخرى ، وان اتحد الاسم ، ولكن مع هذا الاختـلاف كانت هناك أرباب كثيرة أجمع اليونان فى الجملة على عبادتها وتقديسها كالسماء والأرض والبحر ، ولها فى كل مكان معبد خاص بها ، أو مزار يتقرب فيه اليها ، وان الأرباب التى يشترك اليونان فى تقديسها كثيرة جدا ، وكلهـا يمثل أعظم القوى الطبيعية تأثيرا فى الكون ، ومن هـذه زيوس المشترى ، وهيرا واثينا وارتيمس وهرميس (عطـارد) وأريس (المريخ) وافروديت (الزهرة) وكرونس (زحل) وهكذا .

٣ ـ وأرباب اليونان يزعمون لها التجسد ، ويتصورون لها حياة كحياة الانسان وعلى أكمل وجه من أوجه الحياة الانسانيـة الجسدية والشهوانيـة والنفسية فيصورون الههم كائنا حيا فى أبهى مظاهر الحياة من الصور البشرية، ويتمثلون المعبود أو المعبودة على صورة رجل جميل الطلعة أو امرأة وسيمة المحيا ، ويذكرون لآلهتهم من الصفات ما يليق بالانسان من اعتدال قامة ، واتشاح بالثياب الجميلة ، وتحل بالذهب والفضة . وهذا هو ميروس فى احدى قصائده يقول عن بعض الآلهة « أنداريس وأثينا كانا يقودان الجيش وكلاهما متشح بالذهب ، وكانا من الجمال والاعتدال على صورة تليق بالأرباب ، اذ البشر

أقزام قصار القامات » ولكل رب من أربابهم هيئته وهندامه وخصائصه فالربة أثينا ربة الحكمة عندهم مثلا على صورة عذراء ذات عينين براقتين ، تحمل رمحا ، وعلى رأسها خوذة ، وعلى صدرها سلاح لامع •

وللأرباب كما للبشر أقرباء وأولاد وأسر ، فأمهم ربة واخوتهم أرباب أو نصف أرباب ، وللأرباب تاريخ وحوادث وقصص ، فالرب (أبولون) له ولد مثلا ولد فى جزيرة ديلوس ، وكانت لجأت اليها أمه •

ولقد صوروا لكل رب من هذه الأرباب تمثالا يعبد • ولقد كان للتماثيل الكبيرة محال خاصة بها يزعمون أن الآلهة توحى اليهم فيها على لسان الكهنة ، ويتقربون فى تلك المحال للآلهة بالقرابين والنذور ، وأشهرها معبد (دلفى) لأبولون بمدينة (فوكيس) •

وقــد بقيت تلك الديانة ، حتى ظهرت المسيحية فغالبتها حينا من الزمن وقضت عليها ، ولكن بعد أن أثرت أبلغ الأثر فى المسيحية فلسفة الاغريق وفنونهم •

وثنيـــة الرومان

١ ــ اعتقد الرومان ، كما اعتقد اليونان من قبل بأن كل ما يحدث فى هذا العالم هو مما قضت به ارادة خالق له ، ولكنهم لم يعتقدوا بوحدانية الخالق ، بل عددوا أربابهم بتعــدد مظاهر الطبيعة التى تتجلى فيهــا أوامر آلهتهم ونواهيها ، فهناك رب ينبت البذر ، وآخر يحمى الحقل ، وثالث يحرس الثمار وهكذا ، ولكل رب اسمه وجنســه وعمله ، فعنــدهم للسماء اله وللحرب اله وللشجاعة اله كما عند اليونان وسموا اله السماء جوبتر واله الحرب مارس واله الشجاعة هركوليس ، وهو ما يسمى عند اليونان هركليس ، وقد قبسوا أيضا بعض أسماء آلهتهم وخواصها من المصريين القدماء ، فعندهم ايزيس الهة القمر وأوزيريس اله الزراعة ومراميس اله الشفاء ، وكلهــا أسماء مصرية لآلهــة مصرية • وان الأرباب قد تعددت عند الرومان جدا فلكل مظهر من مظــاهر الحياة رب ، ولكل قوة فى الانسان رب ، فعندما يولد الطفــل يأتيه رب يعلمه النطق ، وربة تعلمه الشرب ، وأخرى تقوى عظامه ، وربان يرافقانه الى المدرسة، وآخران يرجعان به • ويعتقدون أن هناك أربابا للمدينة ، وللكتابة وللجبل ، ولكل نهر ، ولكل نبع ، ولكل شجرة رب خاص ، ولقد قال الكاتب اللاتينى بترون فى احدى قصصه على لسان امرأة صالحة : « ان بلادنا غاصة بالأرباب ، بحيث يسهل عليك أن تلقى فيها ربا من أن تصادف رجلا » •

٢ ــ ولقد أتى عهد على الرومان كانوا يعبدون فيه تلك الآلهة المتعددة من غير أن يتخذوا لها تماثيل بل كانوا يعبدونها من غير تماثيل خاصة لكل اله ، فلم يكن فى رومية فى ذلك العهد صنم • ثم اتخذوا بعد ذلك الأصنام من الخشب أولا ، ثم اتخذوها من الرخام على مثال أصنام اليونان • ولم تكن آلهتهم على صورة حية من البشرية كآلهــة اليونان فلم يصفوها بما يتصف به البشر من تحاب وتباغض وتقاتل كاليونان • ولم يفرضوا أن بين الأرباب صهرا أو نسبا وأن لكل اله تاريخا يبتدىء من مولده بل كل ما ينحلونه للرب من أربابهم أنه يسيطر على قوة من قوى الطبيعة ، ويعمل للناس الخير والشر على ما يحب ويريد •

٣ ــ ولقد كان الرومان يؤمنون بالطيرة أو الفأل فيذهبون الى أن الأرباب يعرفون ويرسلون للناس آيات يدركونها فيستنصح الرومانى الأرباب قبل أن يشرع فى عمل ، فاذاأراد الحاكم عمــلا يجمع لديه مجلسا ينظر الى الطيور السائرة ، فاذا كانت فيهــا اشارة موافقــة يدركون أن الأرباب استحسنت المشروع ، والا كان معناه أنهم غير راضين عنه •

ويزعمون أنه كثيرا ما يرسل الأرباب آياتهم من غير أن يسألوا ، ويزعمون أنه قد ظهر نجم ذو ذنب يوم موت قيصر فكان اشارة نعيه •

ولقد كان الرومان يقدسون الأباطرة ، ويقيمون المحاريب •

رقم الايداع بدار الكتب القومية
٨٦/٤٧٠٧

الترقيم الدولى
٩٧٧ — ١٠ — ٠٢٣٢ — ٥

شركة دار الاشعاع للطباعة
١٤ شارع عبد الحميد جنينة قاميش — السيدة زينب
ت ٩٦٤٠٣٦٣


الفهرس

مؤلفات الامام
الشيخ محمد أبو زهرة

- خاتم النبيين — ثلاثة اجزاء — في مجلدين .
- المعجزة الكبرى (القرآن) .
- تاريخ المذاهب الاسلامية — جزءان في مجلد واحد .
- الأحوال الشخصية .
- الجريمة فى الفقه الاسلامى .
- العقوبة فى الفقه الاسلامى .
- اصول الفقه .
- أحكام التركات والمواريث .
- أبو حنيفه : حياته . عصره . آراؤه . فقهه .
- مالك : حياته . عصره . آراؤه . فقهه .
- الشافعى : حياته . عصره . آراؤه . فقهه .
- ابن حنبل : حياته . عصره . آراؤه . فقهه .
- ابن تيمية : حياته . عصره . آراؤه . فقهه .
- الامام زيد : حياته . عصره . آراؤه . فقهه .
- الامام الصادق : حياته . عصره . آراؤه . فقهه .
- ابن حزم : حياته . عصره . آراؤه . فقهه .
- الوحدة الاسلامية .
- الخطابة .
- تاريخ الجدل .
- الملكية ونظرية العقد .
- شرح قانون الوصية .
- محاضرات فى الوقف .
- محاضرات فى عقد الزواج وآثاره .
- محاضرات فى النصرانية .
- مقارنات الأديان .
- الدعوة الى الاسلام .
- تنظيم الاسلام للمجتمع .
- فى المجتمع الاسلامى .
- تنظيم الأسرة وتنظيم النسل .
- الولايه على النفس .
- العلاقات الدولية فى ظل الاسلام .
- التكافل الاجتماعى فى الاسلام .
- الميراث عند الجعفرية .
- العقيدة الاسلامية .
- بحوث فى الربا .

تطلب جميعها من ملتزم طبعها ونشرها وتوزيعها
داخل وخارج جمهورية مصر العربية

دار الفكر العربى
٦ (أ) شارع جواد حسنى بالقاهرة
ص.ب ١٣٠ ت : ٧٦٥٠٢٣ — ٧٥٠١٦٧



تطلب جميع منشوراتنا من
مؤسسة
دار الكتاب الحديث
للطبع والنشر والتوزيع
الكويت شارع فهد السالم عمارة السوق الكبير
بجوار المخازن الكبرى محل رقم ٢٥٠ أرضى
ت : ٤٣٦٧٦٥ ص ٠ ب ٢٢٧٥٤